

اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE



عنوان الكتاب: اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE

اسم المؤلف: فديريكو غارثيا لوركا

ترجمة وتقديم: أحمد يعقوب

المراجعة اللغوية: دار الفراعنة للنشر

رقم الإيداع: 2020/23640

الترقيم الدولي: ISBN: 978-977-6780-91-1

محمول: 01006141645

تد: 0239769176

رئيس مجلس الإدارة: إكرام عيد

المدير العام: مر عادل التوتي

المدير التنفيذي: عزة إبراهيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في

التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أجهزة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة أخرى، بما فيها حفظ

المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار الفراعنة للنشر والتوزيع

فدريكو غارثيا لوركا

اللعب ونظرية الـ "دويندي"

JUEGO Y TEORÍA DEL DUENDE

ترجمة وتقديم: أحمد يعقوب

محاضرات

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

مقدمة

يُقدم الشاعر العالمي لوركا في هذه المحاضرة فلسفته الجمالية عن شعرية الإبداع، التي يمكن أن نسميها "نظرية لوركا الشعرية"، ويحاول البرهنة على سر التألق والتجلي والتميز، بل التفرد في فضاءات الإبداع، وذلك بأدلة ووقائع حيّة من لحم ودم ومجسّدة وملموسة في الشعر والموسيقى والرقص ومصارعة الثيران وغيرها من فنون الإبداع.

أما عن اللعب، فهنا نجد لعبًا لا تألفه قواميس اللغة أو الألسنين.. إنه لعب لا علاقة له بالظاهر الفيزيائي لمعان مفردة اللعب الخض، إنه لعب إبداعي روحي يتجلى في مظاهر متباينة ومختلفة... ليس لعبًا من أجل المتعة مثل لعبة الضوء على المياه، أو الخداع، أو ألعاب الكلام، أو النوايا، أو القدرة، أو لعبة فرصة ثروة جيدة أو سيئة. إنه لعب بالمأساة، فهنا نجد مطربة تلعب بصوتها... وراقصة فلانكو تلعب بجسدها، ومصارع ثيران يلعب بحياته.

وبيقينية متشككة وشك يقيني، يحاول لوركا الكشف عن السر الحقيقي للابتكار والخلق الإبداعيين، ويسمي ذلك السر بـ"دويندي" (Duende). ولا يقدم لذلك تفسيرًا دلاليًا/سمينطيقًا ولا لغويًا بمفردات مرادفة، بل تبقى معاني الـ"دويندي" كامنة في سياق أسطوري، نفسي، أنثروبولوجي، جغرافي، جمالي، فلسفي، وجودي،

ميتافيزيقي، في سياق الوعي الجمعي الإنساني وإدراكه للموت والحياة. فالأندلسيون، كل الأندلسيين، يتحدثون عن: "دويندي" المقترب بمصارعة الثيران، وبرقصة الفلامنكو،¹ وبالغناء العجري، بحيث تتوحد هذه المجالات في عنصر أساسي، وهو أن المؤدي لهذه الألوان الفنية يقترب في أدائه من الموت في لحظة تجليه، بل يقترب من نهاية الوجود.

يقدم لوركا شروحا وتفصيلات لـ"دويندي"، يستبطنها ويستنتجها من وقائع فنية تاريخية في نتاج الإبداع المتميز وغير المتميز. ويشدد على ضرورة عدم الالتباس بين الـ"دويندي" وربة الإلهام أو الوحي أو الملاك أو العفريت الديني أو الشيطان اللاهوتي، وكذلك يؤكد على ضرورة عدم المقارنة أو المقاربة بينها وبين الـ"دويندي"، لأن "دويندي" لوركا هو "قوة غامضة تسري في الدم...".

وإذا سمح لي القارئ بأن اجتهد في اختيار مرادف لـ"دويندي" في اللغة العربية، فإنني أقول:

لقد سمحت لي ظروف في تعلم الإسبانية من قراءة محاضرة لوركا وأنا طالب في الجامعة. اكتفيت آنذاك بترجمتها بـ"ملكة" (من الملكات الفنية الإبداعية). فمصدر كلمة (duende) في اللغة الإسبانية هو (dueño) أي "مالك"، وتوقفت عند ذلك منتشيا

¹ فلانكو (بالإسبانية: Flamenco) هو أداء فني يقوم على أساس الموسيقى والرقص والغناء. ارتبط الفلامنكو بالعجز، وأسسوا ما يسمى بالفلامنكو كمظهر من مظاهر الألم التي يشعر بها الناس بعد إبادة ثقافتهم. البعض يربط اسم هذه الموسيقى بطائر الفلامنكو.

بشاعرية المحاضرة... لهذا ربما لم أبحث عنها في العربية، ولا أعرف إن كانت مترجمة إلى العربية أم أن المترجمين العرب أغفلوها ربما لصعوبتها. وهنا سأبقي المفردة كما يذكرها لوركا، أي بالإسبانية، لإبقائها في سياق معانيها كما أراد الشاعر.

في الترجمة هنا أبقيت النص على صياغته، فكأن لوركا يكتبها للشعراء فقط! في لغة شاعرية متألفة ومنمقة من قاموسه الفانتازي المفعم بالحسية السحرية. وكأنه يشعر بالموت، فيقدم أروع ما في عالمه الوجودي. ليحيا في موته. فهو يتلاعب باللغة بـ"دويندي لوركوي". يقدم ويؤخر كما يشاء. ويطيل الجمل الاعترافية ويقصرها كما يشاء، بل إنه يصوغها وكأنها جملة شعرية واحدة أو قصيدة مدورة، معطياً للتقريب والترقيم معاني جديدة، ولا يضع إشارات الاستفهام حيث يجب وضعها، ربما ليقينته المفردة بالدويندي.

كما يمكننا اعتبار هذه المحاضرة بمثابة الملحمة الشعرية غير المعروفة للوركا، ملحمة تاريخية رائعة في ثرائها الشعري واكتنازها لفانتازيا خرافية تنتقل من الدراما إلى التراجيديا إلى الكوميديا. ويختزل فيها روائع الإبداع الإنساني منذ ثور آشور إلى ثيران الأندلس ومن خمار ميدوسا² إلى راقصة الفلامنكو. وعند لوركا هنا لم تعد أساطير

² كانت ميدوسا في البدء بنتا جميلة، غير أنها مارست الحب مع بوسيدون في معبد أثينا وهذا ماجعل أثينا تغضب، فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر كما حولت شعرها إلى ثعابين وكان كل من ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر. وبما أن ميدوسا كانت قابلة للموت فقد تمكن برسيوس بمساعدة هرس، حسب الميثولوجيا

الإغريق والرومان والأديان مجرد مراجع يتكى عليها، إنما يبعث من موتها حياة أجمل وأكثر رونقًا وتألقًا. بالشكل الذي يمكّننا من اعتبار هذه المحاضرة أهم ما كتب عن تاريخ الإبداع المتميز في تاريخ الإبداع.

وأنا أقدمها للمكتبة العربية بكل سعادة، فإنني وضعت هوامش لم يكن الشاعر قد وضعها، وذلك احترامًا مني لقارئ سيقراً لأول مرة عن لوركا وعن إبداع الشعوب الأخرى.

أحمد يعقوب
غزة

الإغريقية، من القضاء عليها وقطع رأسها لما نظر إلى صورتها انعكاسها في درع أثينا، وأهدى رأسها لأثينا التي كانت قد ساعدته وقامت بوضعه على درعها المسماة بالأيغيس. أنجبت ميدوسا من بوسيدو طفلين.

نص المحاضرة

التي ألقاها الشاعر فديكو غارثيا لوركا
في الأرجنتين عام 1933، ثم في هافانا

السيدات والسادة

منذ عام 1918، حيث التحقت بسكن مدريد الجامعي،
حتى عام 1928 حيث هجرته وقد انتهت دراستي في الفلسفة
والآداب، كنت قد استمعت في ذلك الصالون الممجوج، حيث كانت
تردد لتصحح انفلاتها على الشاطئ الفرنسي، العجوز الأرسقراطية
الإسبانية، استمعت لأكثر من ألف محاضرة.

برغباتٍ من هواءٍ وشمس، كنت قد مللت كثيراً، إذ عند
الخروج كنت أشعر بأنني مغطى برمادٍ خفيفٍ كاد يصل إلى نقطة
التحول إلى فلفل أسودٍ للتتهيج.

لا. أنا لم أكن أرغب في أن تدخل الصالة، تلك الذبابة
الكبيرة الباعثة على الملل، التي تلتضم كل الرؤوس بخيط خفيف من
الحلم، وتضع في عيون المستمعين مجموعات صغيرة جداً من وخزات
الدبابيس. بشكل مبسط، وفق السجلات³، أن في صوتي الشعري لا
توجد أنوار خشبية، ولا لفات من نبات الشكران⁴، ولا نعجات

³المقصود هنا سجلات وكشوفات عضوية الكتاب أو التي تعترف بشاعريتهم.

⁴ الشكران نبات سام تجرعه الفيلسوف سقراط يوم إعدامه بالسم.

تصبحن فجأة سكاكين سخرية، سأرى إن كنت قادرًا على إعطائكم
عبرًا بسيطة حول الروح المخفية لإسبانيا المألومة.

ما هو كائن في جلد الثور (ما في الجلد)5 الممتد بين أنهار
الخوكر، والغواداليتي، وسيل، أوفيسويرغا6. (لا أريد اقتباس الدفق مع
الموجات التي بلون لجة الأسد، الذي يرجح الفضة).

(الجلد...) كثيرًا ما يتكرر القول: "هذا لديه الكثير من
الدويندي." كان فنان الشعب الأندلسي الكبير مانويل تورريس قد
قال لمغنٍ كان يغني: "لديك صوت جميل وتعرف المقامات وأطوار
الغناء، لكنك لن تنجح؛ لأنك لا تملك دويندي." في الأندلس
قاطبة، من صخرة خاين، 7 إلى محارة قادش، 8 يتحدث الناس بشكل
دائم عن الـ"دويندي"، ولديهم القدرة على اكتشافه حين يصدر من
الموهبة الفطرية الفعّالة.

5 ما بين القوسين () في المتن هو إضافة قام بها المترجم لضرورات تسهيل
القراءة.

6 Júcar نهر يقع في غرب إسبانيا، Guadalete نهر يقع في جنوب إسبانيا،
Sil نهر يقع في الشمال الغربي لشبه القارة الأيبيرية، Pisuerga نهر يمر من
مدينة فالنسيا.

7 Jaén مقاطعة جيان (بالإسبانية خاين) هي إحدى مقاطعات إسبانيا، تقع في
الجزء الجنوبي من البلاد، وفي الجزء الشرقي لمنطقة الأندلس، ويحدها كل من
مقاطعة قرطبة ومقاطعة غرناطة.

8 غايش أو قادش، واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس،
وهي عاصمة مقاطعة قادش.

المغني الرائع، العجري، إل ليريجانو⁹ مبدع غناء الدبلية، 10
كان يقول: "الأيام التي أغني فيها بـ"دويندي" لن يكون باستطاعة
أحد أن يتحداني"، الراقصة العجوز العجرية لا مالينا، 11 هتفت يومًا
ما وهي تستمع لـ"برايلوسكي"، 12 وهو يعزف مقطوعة لباخ: "أوليه!
هذا لديه دويندي". وكانت تتلملم مع غلوك، 13 وبرامس، 14 ومع
داريوس ميلهاود. 15

⁹ "Diego Fernandez "El Lebrijano": من مؤسسي غناء الفلامنكو وكذلك
غناء يسمى الدبلية.. (البريخو نسبة إلى ليريرا إحدى ضواحي اشبيلية).
¹⁰ Debla: مفردة عجرية تعني "ربة" أو "سماة براقية".
¹¹ من أشهر راقصات الفلامنكو.

¹² Alexander Brailowsky: موسيقي أوكرائي/فرنسي (1876-1976) عازف
بيانو، تخصص في عزف مقطوعات شوبان، وك في كييف بأوكرانيا، في الثامنة
من عمر، درس عند فلاديمير بوشالسكي، دخل كونسرفتوار كييف وتخرج في سن
ال15 سنة ونال الجائز الذهبية، ثم تابع دراساته في فينا وزيوريخ، أخيرًا في فرنسا
حيث نال جنسيتها. أُلّف أول سيمفونية له في عام 1919، ابتكر أساليب جديدة
للعزف. توفي في نيويورك عن عمر 80 سنة متأثرًا بالتهاب رئوي.

: مؤلف موسيقي ألماني (1714 - 1787). Christoph Willibald Gluck.¹³
14 يوهانيس برامس (بالألمانية: Johannes Brahms)؛ (1833-1897)،
مؤلف موسيقي ألماني، من أصحاب المدرسة الرومننتيقية. أهم ما قيل عنه أنه
استمرار لبيتهوفن؛ أي أن السيمفونية الأولى لبرامس يمكن اعتبارها السيمفونية
العاشرة لبيتهوفن، ولم يكن كالرومانتيين في نزواتهم العاطفية، فقد كان يخشى أن
تشغله المرأة عن فنه.

: مؤلف موسيقي فرنسي (1892 مارسييا/ فرنسا - 1974 Darius Milhaud)¹⁵
جينيف) اشتغل على موسيقى الجاز.

مانويل تورريس الرجل الأكثر ثقافة، (ثقافة تسري) في الدم،
من عرفت، قال، وهو يستمع إلى (فايا) 16 نفسه في معزوفته العريف
يفقد ليلته، هذه الجملة الرائعة: "كل من يمتلك أصوات غناء سوداء
يمتلك الديويندي". ولا توجد حقيقة أكبر.

هذه الأصوات السود هي اللغز، الجذور التي تغرز في الوحل
الذي نعرفه جميعاً. ويجهله جميعنا، لكن من أين يصلنا ما هو الجوهر
في الفن. 17 أصوات سود، قال الرجل الأكثر شعبية في إسبانيا وتوافق
مع غوته، 18 الذي يصنع تعريفاً للديويندي عند الحديث عن باغاني،
19 قائلاً: "قوة غامضة يشعر بها الجميع ولا يفسرها أي فيلسوف".

هكذا، إذن، الديويندي، هو قدرة وليس اشتغلاً، وهو
صرع وليس تفكيراً. أنا كنت قد سمعت عجزاً أستاذاً في الغيتار
يقول: "الديويندي ليس موجوداً في الحنجرة، الديويندي يرتفع من

¹⁶ Manuel de Falla : مؤلف موسيقي إسباني (1876 - 1946) ولد في قادش إسبانيا وتوفي في الأرجنتين، يعتبر من أهم الموسيقيين الإسبان في بداية القرن العشرين.

¹⁷ لا توجد هنا إشارة استفهام.

¹⁸ يوهان فولفجانج جوته، أديب ألمانيا العظيم؛ وأحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، الذي ترك إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية.

¹⁹ نيكولو باغاني (1782 - 1840) عازن كمان وكمان متوسط وغيتار وملحن إيطالي. كان أحد الموهوبين على الكمان، وترك بصمته كإحدى ركائز تقنية الكمان الحديثة. كابريس رقم 24 في إيه ماينور هي من بين أفضل مؤلفاته، وكان بمثابة مصدر إلهام للكثير من الملحنين البارزين.

الداخل من أخص القدمين"؛ أي أنه ليس مسألة كفاءة، إنما نمط حياة معاش وحقيقي، أي من الدم، أي من ثقافة غابرة، من خلق بالأداء.

هذه القوة غامضة يحس بها الجميع ولا يفسرها أي فيلسوف" هي، في المحصلة، روح سلاسل الجبال، إنها الدويندي ذاته الذي عانق قلب نيتشه، 20 الذي بحث عنه بأشكاله الخارجية فوق جسر رياتنو، 21 أو في موسيقى بيزيه، 22 ولم يعثر عليه، ودون معرفة أن الدويندي الذي كان يطارده كان قد قفز من الألغاز الإغريقية إلى راقصات قادش، أو إلى صرخة ديونوسية مسفوحة بـ"سيغيريا" 23 سيليريو. 24

²⁰ فريدريك فيلهلم نيتشه (1844 - 1900) فيلسوف وشاعر ألماني، كان من أبرز الممهدين لـ علم النفس، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفسية، والفلسفة المعاصرة، المادية، والمثالية الألمانية، والرومانسية الألمانية، والحداثة، بلغة ألمانية بارعة.

²¹ الجسر الذي يعبر القناة الكبرى في مدينة البندقية/إيطاليا، يعتبر أقدم وأهم جسور المدينة.

²² Georges Bizet (1838 - 1875) مؤلف موسيقي فرنسي، ينتمي إلى الفترة الرومانسية.

²³ Seguiriya، وهو غناء تراجيدي يعكس معاناة الحب والموت. وعندما تغنى، يتم الاستغناء عن الآلات الموسيقية وتؤنى فقط مع عصى الفلامنكو... تعتبر العامود الفقري لغناء الفلامنكو.

²⁴ Silverio Franconetti Aguilar (1831-1899) يعتبر، كثيرون: المغني الأفضل لكل الأزمان، ينسب له غناء السيغيريا، التي وضع بصمته عليها، من

هكذا، إذن، لا أريد لأحد أن يلتبس عليه الدويندي بشيطان اللاهوت عن الشك، حيث لوثر، 25 وبإحساس عربي، رماه بجرة حبر في نورمبرغ، 26 ولا مع العفريت الكاثوليكي، المدمر وقليل الذكاء، الذي يتنكر مثل كلبة ليدخل الأديرة، ولا مع القرد المتكلم الذي يحمله ترجمان سيرفانتس، 27 في كوميديا الغيرة وأدغال الأندلس.

لا، الدويندي الذي أتحدث عنه، غامق، مقشعر، منحدر من غبطة شيطان سقراط 28 تلك، رخام وملح حيث مطعوناً بكرامته حزته مخالب ذاك اليوم الذي تجرع فيه سم الشوكران.

أشهر أغانيه: افتحي الأرض.. أريد الموت.. أن أحيأ كما أنا عليه من حياة.. أفضل الموت.

²⁵ مارتن لوثر (1483 - 1546)، مصلح ديني مسيحي ألماني شهير، يعد الأب الروحي للإصلاح البروتستانتي.

²⁶ نورنبرغ مدينة ألمانية بولاية بافاريا. اشتهرت في التاريخ الحديث بسبب محاكمات نورنبرغ للنازيين بعد الحرب العالمية الثانية.

²⁷ ميغيل دي ثيربانتس ساينرا (1547- 1616) هو كاتب أسباني. اشتهر بروايته "دون كيشوت دي لامانشا" أو (دون كيخوت) (1605-1615)، وهي شخصية مغامرة حاملة تصدر عنها قرارات لاعقلانية. تركت حياة "ثيربانتس" الحافلة بالأحداث أثراً بليغاً في أعماقه، وتجلّى ذلك في طغيان روح السخرية والدعابة على أعماله.

²⁸ "سقراط" (469-399 ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي. يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه.

ومن الشيطان الثاني الصغير المصاب بالملونخويا، شيطان ديكرات، 29 صغير مثل لوزة خضراء، بحيث، متخماً بالدوائر والخطوط، خرج عبر القنوات لسمع غناء البحارة السكارى. كل إنسان، كل فنان يسميه نيتشه، كل درجة يصعد بها في قلعة اكتماله هي على حساب الصراع الذي يدعمه بـ "دويندي"، ليس بوساطة ملاك، كما قيل، ولا بوساطة ربة إهام. من الدقة بمكان أن نضع هذا التمييز الأساسي لجذور العمل. الملاك يقود ويقدم الهدايا مثل القديس رفائيل، يدافع ويحجّب مثل القديس ميغيل، ويمنع مثل القديس غابرييل.

الملاك يبهر، لكنه يطير فوق رأس الإنسان، يكون في الأعلى، يسكب نعمته، والإنسان، بلا أي جهد، يحقق عمله أو تعاطفه أو رقصته. ملاك طريق دمشق، الذي دخل من بين شقوق شرفة أسيز، (ربما يقصد (Francisco de Asis) ت)، 30 أو الذي

²⁹ رنيه ديكرات (1596-1650)، فيلسوف، رياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، التي ما زالت تدرس حتى اليوم، وبخاصة كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى-1641)

³⁰ فرنسيس الأسيزي أو (فرانسيسكو دي أسيس - فرانسيسكو بيزناروني) ينحدر من مدينة أسيس 26 أيلول 1181- 3 تشرين الأول 1226 لقب كفتيس في الكنيسة الكاثوليكية، جاء من عائلة تعمل في التجارة ويعتقد أن أمه فرنسية الأصل، وولادة كان يسمى ببيرو بيزنادوني. في أسيس عرف بفرانسيسكو (تصغير لكلمة فرنسي أو الفرنسي الصغير). سافر فرانسيسكو إلى إسبانيا، أفريقيا، وكانت فترتها

يتبع خطوات إنريك سوسون، 31 يأمر ولا توجد وسيلة لمعارضة أصواته، لأنه يرح جناحيه الفولاذيتين في أجواء المقدر.

ربة الإلهام تُملي، وفي بعض المناسبات، تنفخ. تقدر على القليل نسبياً، لأنها قد أصبحت بعيدة ومتعبة جداً (أنا رأيتها مرتين)، بحيث كان عليّ أن أضع لها نصف قلب من الرخام.

الشعراء ذوو الريات يسمعون أصواتاً ولا يعرفون أين هي، لكنها للربة التي تغذيها وأحياناً تأخذها في نزهة.

كما في حالة أبولينير، 32 شاعر عظيم، دمته ربة مريعة وبها رسمه الملائكي الرباني روسو، 33 ربة الإلهام توظف الذكاء، تجلب مناظر بأعمدة ومذاقاً زائفاً للغار، الذكاء في كثير من المرات هو عدو الشعر، لأنه يقلد بشكل زائد، لأنه يرفع الشاعر إلى مرابع حادة

تمر بلاد الشام بالحمولات الصليبية، وأسس ما يسمى (أحكام القديس فرانسيسكو). علم المحبة للناس أجمع واحترامهم، وكان يحترم الحيوانات والنباتات، وكان يحث على الرثق بها، وكان يناديها بالأخوة وبمسواة للشقاء، والريح، والنار، ويحترم جميع الديانات.

Enrique Suso³¹ صوفي ألماني (1300-1366) شاعر غنائي ملحمي، ومن الشعراء التروبادور، بحث في القيم الروحية والنفسية لفلسفة ايكهارت. نشرت أعماله في العصور الوسطى.

32 Guillaume Apollinaire الشاعر والروائي الفرنسي (1880-1918) أول من استخدم مصطلح السورالية.

33 جان جاك روسو (28 حزيران 1712-2 تموز 1778) فيلسوف سويسري، كان أهم كاتب في عصر العقل. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية.

الحواف ويجعله ينسى أنه فجأة سيقدر النمل على التهامه، أو قد يسقط في رأس لانغوستا ضخمة من الزرنخ، في مواجهة ذلك لا تقدر عليه الربات الموجودة في عدسات القراءة للأغنياء، 34 أو الموجودة في زهرة الورنيش الحار في الصالة الصغيرة.

ملاك وربة يأتیان من الخارج، الملاك من الأنوار، والربة من الأشكال. (هسيود35 تعلم منهما).

خبز الذهب (أوراق الذهب) أو ثنيات السترات، الشاعر يتلقى معايير في أيكه الغاري. في المقابل، يجب إيقاظ ال"دويندي" في الغرف الأخيرة للدم. ورفض الملاك وإعطاء ركلة للربة، وإسقاط خوف عبير البنفسج الذي يزفر الشعر في القرن الثامن عشر، و(خوف. ت) التلسكوب الضخم الذي بين بلوراته تنام الربات مريضة بالتحديدات.

الصراع الحقيقي يكون مع ال"دويندي"

معروفة تلك الدروب للبحث عن الله، منذ النمط البربري للنسك إلى النمط الرقيق للتصوف.

بقلعة واحدة مثل القديسة تيريسا، أو بثلاثة طرق مثل سان خوان دي لا كروث. 36 ومع أنه علينا أن نصرخ بصوت "أشعيا": 37:

³⁴ العدسة الدائرية التي توضع على عين واحدة.

³⁵ Hēsiodos شاعر شفاهي إغريقي يُعتقد أنه أول عالم اقتصاد إغريقي.

³⁶ San Juan de la Cruz (1542- 1591) شاعر صوفي، منذ عام 1952

يعتبر عزاب شعراء اللغة الإسبانية.

"حقيقة أنت رب محتبى"، وفي النهاية يأمر الله للذين يبحثون عنه عوسجة أولى من النار.

للبحث عن الـ"دويندي" لا توجد خارطة ولا جيش. المعلوم فقط أنه يحرق الدم كأنه مادة من زجاج، وأنه يستنفد، وأنه يرفض كل حلالة الهندسة التي تعلمناها، وأنه يحطم الأعماط، وأنه يجعل غويا، 38 الأستاذ في الرماديات، في الفضيات وفي الألوان الوردية، الأفضل في الرسوم الإنكليزية. يرسم بركبته ويقبضتي يديه بالأسود المربع للقرار، أو ما يعري موسين ثينتو برداغير 39 في برد البرانس، 40 أو يأخذ خورخي مانريكى 41 لينتظر الموت عند بارمو دي أوكانيا، 42 أو يزور ببذلة خضراء لمهرجي السيرك (يزور. ت) الجسد النحيل لرامبو،

³⁷ الكتاب المقدس إشعيا.

³⁸ فرانشيسكو دي غويا (1746- 1828) كان رسامًا ونحاتًا إسبانيًا، عكس فنه الاضطرابات السياسية والاجتماعية في زمنه.

³⁹ Jacinto Verdager اسمه الحقيقي لكنه يعرف بـ *Mossèn Cinto Verdager J* " . شاعر ورجل دين إسباني (برشلونة 1845 -1902)، وفي 21 آذار 1886، توجهت المطرانية كشاعر أول لكاتالونيا، زر بيت لحم والقدس في رحلة حج إلى الأراضي المقدسة.

⁴⁰ البرانس سلسلة جبلية تقع جنوب غرب أوروبا، بين فرنسا وإسبانيا وتمثل الحدود الطبيعية بينهما.

⁴¹ Jorge Manrique شاعر اسباني كلاسيكي (1440-1479).

⁴² páramo de Ocaña: تقع شمال شرق مقاطعة طليطلة، وتمتد على طول هضبة ضيقة ولكنها عالية، وترتبط الجنوب والشرق مع بقية سهول لا مانشا.

43 أو يضع عيون سمك ميت للكونت لوتريامون44 عند الفجر في البوليفار.

الفنانون العظماء في جنوب إسبانيا، غجريون أو فلامنكيون، منذ أزمان يغنون ويرقصون ويعزفون، يعرفون أن أية عاطفة ليست ممكنة بدون دويندي. هم يخدعون الناس ويمكن أن يقدموا أحاسيس دويندي لكن من غير دويندي، كما يخدعكم في كل الأيام مؤلفون أو رسامون أو خياطو موضة أدبية من غير دويندي، لكن قليلاً من التركيز يكفي. ولا تتركوا أنفسكم تؤخذون باللامبالاة، من أجل كشف الفخ وجعله يهرب مع اصطناعاته الخشنة.

مرة "المطربة" الأندلسية باستورا بافون، (طفلة الأمشاط)،
45 ظلُّ عبقرية هيسبانية، 46 تعادل من حيث الطاقة الفانتازية غويا،

⁴³ آرثر رامبو (1854-1891) شاعر فرنسي أثرت أعماله على الفن السريالي. بدأ كتابة الشعر في سن السادسة عشر، وتميزت كتاباته الأولى بطابع الغنف. وكانت آخر أعماله الشعرية بعد أن بلغ من العمر 19 عامًا. بعد اعتزله الأدب=مقرر رامبو في عام 1875 السفر إلى إثيوبيا والعمل كتاجر. توفي في مارشيليا بفرنسا في عام 1891 بعد أن بترت ساقه.

⁴⁴ الكونت لوتريامون وهو اللقب الذي كان يكتب باسمه إيزيدور دوكاس. شاعر فرنسي (1846-1870)، يعتبر لوتريامون أول من كتب قصيدة النثر، وذلك في كتابه (أناشيد مالدرور) 1867.

⁴⁵ Pastora María Pavón Cruz (إشبيلية 1890 - 1969) مغنية فلامينكو، تعتبر من أهم الأصوات في تاريخ هذا الغناء، بدأت الغناء في الثامنة من عمرها، لقبت بطفلة الأمشاط نسبة لأغنية تقول: مشط شعرك بأمشاطي... فأمشاطي

47 أو رافائيل الغايو، 48 كانت تغني في إحدى حانات قادش. كانت تلعب بصوتها الظليل، بصوتها المصوب من القصدير، بصوتها المغطى بالطحالب. وكانت تربكه بخصلات شعرها، أو كانت تبلله ببيذ البابونج، أو كانت قد أضعته في غابات مظلمة وبعيدة. لكن لا شيء، ولا جدوى، ظل المستمعون صامتين.

هناك كان إغناثيو اسبيلينا، رائع مثل سلحفاة رومانية، وقد سأله مرة: "كيف لا تعمل؟"، وهو، بابتسامة تليق بـ"أرغانتونيو"، 49 أجاب: "كيف أذهب للعمل، وأنا من قادش؟". هناك كانت إليوسا، الأرستقراطية اللهلوية، عاهرة إشبيلية، تنحدر مباشرة من عائلة

مصنوعة من السكر... من بأمشاطي يتمشط... حتى الأصابع يمصها... مشط شعرك بأمشاطي... فأمشاطي مصنوعة من القرفة.

⁴⁶ كل من يتكلم الإسبانية في العالم.

⁴⁷ انظر، هامش 38.

⁴⁸ Rafael Gómez Ortega (1882-1960) مصارع ثيران، الأكثر عبقرية

في تاريخ هذه المصارعة في إسبانيا، بدأ المصارعة وهو في عمر 9 سنوات. لقب بالغايبو (الديك) ولا حقا لقب بالأصلع الزباني.

⁴⁹ Argantonio (670 ق م - 550 ق م) آخر ملوك التارتيسوس، تارتيسوس، وهو الاسم الذي عرف به الإغريق أول حضارة في الغرب وريثة الثقافة المغليشية في جنوب غرب البلاد الأيبيرية في المثلث المتكون من مقاطعات أونية، وإشبيلية وقادش، على الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية.

سوليداد براغاس، 50 وهي في الثلاثينيات من العمر لم تقبل الزواج من أحدهم من عائلة روتشيلد⁵¹ لأنه لا يساويها في الدم. هناك كان "لوس فلوريداس"، الذين يعتقد الناس أنهم قصابيون، لكن في الحقيقة هم كهنة قدماء يتابعون تقديم الثيران كأضاحي لـ"جيرون"، 52 وفي زاوية، هناك، مربي الماشية المنتفد بابلو موروب بأجواء أقنعة كريتيية.⁵³

⁵⁰ من أشهر العائلات الارستقراطية.

⁵¹ عائلة روتشيلد بالإنجليزية (Rothschild family) هي إحدى العائلات ذات الأصول اليهودية الألمانية، واللقب "روتشيلد" يعني "الدرع الحمراء"، في إشارة إلى "الدرع" التي ميزت باب قصر مؤسس العائلة في فرانكفورت في القرن السادس عشر.

⁵² Gerión: وحش عملاق، في الأساطير الإغريقية، له ثلاث هيئات بثلاثة رؤس وأطراف عدة تتصل فيما بينها باتصال خطي أو شعاعي. عاش في جزيرة "أرتيا" ما وراء أعمدة هركليس إلى الغرب من البحر المتوسط. كانت لديه ثروة حيوانية من الأبقار والثيران الحمراء... سرقها هركليس.

⁵³ أقنعة كريتي كانوا يضعونها على وجوه الملوك عند موتهم.



قناع كربتي أو قناع أغامنون

باستورا بافون⁵⁴ انتهت من الغناء وسط الصمت. فقط،
وبسخرية، قال رجل قصير جدًا، من أولئك الراقصين الذين يخرجون
فجأة من زجاجات البراندي (الماء الحارق)، بصوت خافت جدًا: "تحيا
باريس!"، كأنه يقول: "هنا لآهمننا الكفاءات، ولا التقنيات، ولا
الأستذة. تهمننا أشياء أخرى".

عندها، وقفت "طفلة الأمشاط" مثل مجنونة، متقطعة
الأوصال مثل نائحة من العصور الوسطى، وشربت وبدفقة واحدة
كأسًا كبيرة من مشروب العرق نوع غزالة من غير خلطه بالماء، وكان

⁵⁴ انظر هامش 45.

مثل النار. وجلست تغني بلا صوت، بلا نفس، بلا ظلال، وبخنجرة متجمرة، لكن... بـ "دويندي".

حققت قتل كل سقالات وتدرجات الأغنية لتفسح ممراً إلى دويندي غاضب ومجمر، صديق الرياح، محمّل بالرمال، الذي جعل المستمعين يمزقون بذلاتهم تقريباً مع الإيقاع ذاته الذي يكسر به زنوج الأنتيل شعائرهم ناكثين شعرهم أمام القديسة باربارا.

كان على "طفلة الأمشاط" أن تجعل صوتها يدمع لأنها كانت تعرف أن ثمة أناساً متأنقين يسمعونها، لا يطلبون نمطاً إنما نخاع الأنماط، موسيقى نقية مع جسد واسع النطاق ليتمكن من بقائه في الهواء. كان عليها أن تفقر إمكاناتها واطمئناناتها، يعني، كان عليها أن تبتعد عن ربتها وتبقى بلا رحمة، ليأتها الـ"دويندي" وتتنازل ليستوعبوا. وكيف غنت! صوتها لم يعد يلعب، صوتها كان نزيف دم يليق بألمها وإخلاصها. كان يفتح كأنه يد بعشرة أصابع لأقدام مسمّرة، لكن مليئة بعاصفة، مسيح خوان دي خوبي. 55

⁵⁵ Juan de Juni: (فرنسا 1506- إسبانيا 1577) نحات فرانكو- إسباني مؤسس مدرسة النحت الإسبانية. في 1565، نحت قوس استقبال الملكة إليزابيث عند مدخل الوادي الكبير.



المسيح للفنان خوان دي خوني

مجيء الدويندي يتطلب دائماً تغييراً جذرياً في كل الأنماط والأشكال للخطط القديمة، يعطي مشاعر نصارة غير معروفة أبداً، مع نوعية زهرة نبتت لتوها، من معجزة، تصل لتنتج حماسة قد تكون دينية تقريباً.

في كل الموسيقى العربية، الرقص، والغناء أو المرثي، فإن وصول الدويندي تتم تحيته بصيحات قوية: "الله!، الله!". وهذا قريب جداً من "ole" "أوليه!" التي تقال مع مصارعة الثيران، من يدري ربما تكون الشيء نفسه، وفي جميع أغنيات جنوب إسبانيا فإن ظهور الدويندي يكون متبوعاً بصيحات صادقة: "يحيى الله!" (الله الدائم)، عمق، إنساني، صراخ حنون للتواصل مع الله بالحواس الخمس، بفضل ال"دويندي" الذي يهيج صوت الراقصة وجسدها، إنه تهرب حقيقي

وشاعري من هذا العالم، تَهْرَبُ نقي كالذي حققه الشاعر النادر في القرن السابع عشر بيدرو سوتو دي روخاس56، من خلال سبع حدائق، أو تَهْرَبُ خوان كاليماكو57، من خلال نوبة بكاء وارتعاش. طبيعياً، عندما يتحقق هذا التهرب، يشعر الجميع بآثاره: في البدء، يُرى مثل النمط الذي يهزم مادة فقيرة، والجاهل، فيه عدم معرفة المشاعر الأصيلة.

منذ سنوات، في مسابقة للرقص في خيرث دي لا فرونتيرا، 58 نالت الجائزة عجوز ثمانية بمنافسة نساء رائعات وفتيات لهن خصر من ماء. وكان المطلوب أن ترفع الذراعين، وتُنصب الرأس وتُفعل ضربة واحدة بالقدم فوق الطلبة، لكن في اجتماع الربات والملائكة اللاتي كن متواجداً هناك، جمال في الشكل وجمال في البسمة، كان عليها أن تفوز وربحت ذاك الدويندي المميت الذي سحبته على الأرض أجنحتها من سكاكين متأكسدة.

كل الفنون قابلة للدويندي، لكن حيث يوجد مجال أكبر، كما هو طبيعي، يكون في الموسيقى، في الرقص وفي الشعر المحكي،

⁵⁶ Pedro Soto de Rojas: شاعر إسباني من غرناطة (1584-1658).

⁵⁷ Juan Calimaco: (سورياً 575-649) راهب اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية قديساً، له كتاب بعنوان السلم نحو الجنة.

⁵⁸ Jerez de la Frontera: شريش (الملقية بـ الفَرَنْتيرة أي الحدود) تقع في مقاطعة قادس في الأندلس. تشتهر بصناعة نبيذ الشيري (Sherry).

كل ذلك يحتاج إلى جسد حي قادر على ترجمتها. لأنها أشكال تنولد وتموت بشكل مؤبد، وتطلق معالمها على دقة الوقت الحاضر.

مرات عدة، فإن دويندي الموسيقي ينتقل إلى دويندي المؤدي، ومرات أخرى، عندما الموسيقي أو الشاعر لا يكون متماثلين، فإن دويندي المؤدي، وهذا مهم، يخلق رائعة جديدة يكون لها في مظهرها، فقط، الشكل المشاعي. هذا هو حال صاحبة الدويندي اليانور دوسي، 59 التي بحثت عن أعمال فاشلة لتجعلها تنتصر، بفضل ما اخترعته هي، أو في حالة باغانيني، التي شرحها غوتا، الذي جعل من بداءات سوقيين حقيقيين أحياناً عميقة تُسمع، أو حالة فتاة حلوة من بويرتو دي سانتا ماريا، 60 التي رأيتها تغني وترقص الكوبولية الإيطالية المقرزة "أو ماري". بإيقاعات، وسكتات وإجاءات حولت سلة المهملات الإيطالية إلى هالة منتصبة لأفعى من ذهب.

⁵⁹ Eleanor Duse: (1858-1924) أعظم ممثلة مسرح في إيطاليا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لقبت بالريانية، حققت شهرة كبيرة لأدائها أعمال الكاتب النرويجي هنريك إبسن. يروى أنها ولدت في مقصورة قطار. ومثلت على المسرح في عمر 4 سنوات. في الـ14 من عمرها مثلت دور جوليت لشكسبير.

⁶⁰ Puerto de Santa Maria: مدينة ايل بويرتو دي سانتا ماريا 10 كيلومترات إلى الشمال الشرقي من قادش.

وما جرى، في الواقع، أنهم وجدوا شيئاً ما جديداً لم يكن له علاقة بالشيء السابق، حيث وضعوا دماً حياً وعلماً فوق أجساد فارغة من التعبير.

كل الفنون، وكذلك البلدان، لديها إمكانات الدويندي، والملوك والربة، هكذا مثل ألمانيا لديها، باستثناءات، ربات، وإيطاليا لديها ملاك بشكل دائم، كما أن إسبانيا تتحرك في كل الأزمان بدويندي، كبلد للموسيقى والرقص منذ القدم، حيث الدويندي يعصر ليمونات الفجر، وكبلد موت، كبلد مفتوح على الموت.

في كل البلدان، فإن الموت هو نهاية. يصل وتعلق الستائر، في إسبانيا، لا. في إسبانيا تُرفع. أناس كثيرون يحبون هناك بين جدران حتى اليوم الذي يموتون فيه فيخرجوهم إلى الشمس.

ميت في إسبانيا هو حي أكثر منه ميتاً في أي مكان من العالم: ملفه الشخصي يجرح بمثل حد شفرة حلقة. الطرفة حول الموت وتأمله الصامت أمران مألوفان للإسبانيين.

"منذ حلم الجماجم" لـ "كيفيدو"، 61 حتى الـ "مطران العفن" لـ "بالديس ليال"، 62 ومنذ (لا ماريبيا) القرن السابع عشر، التي ماتت في الولادة في منتصف الطريق، والتي تقول:

⁶¹ فرانسيسكو دي كيفيدو (1580-1645) سياسي و كاتب إسباني في العصر الذهبي الإسباني، كان واحداً من أبرز الشعراء الأسبان في ذلك العصر. كتب في الشعر والسياسة والسخرية، منها روايته الواقعية عن التشرد و حياة الطبقات الدنيا وعنوانها: تاريخ دون بابلو دي سيجوفي المعروفة باختصار إل بوسكون.

"نزيف) دماء أحشائي
يغطي (نعم موجودة) الحصان
أرجل حصانك
تضع نارًا من قطران...".
النادل الجديد لتوه في سلمنكا، 63 الذي يصيح:
"أيها الأصدقاء، إنني أموت
أيها الأصدقاء، أنا في حالة خفوت
ثلاثة مناديل في داخلي حشيت
وهذا الرابع أدخل...".

ثمة شرفة لزهور الملح الصخري، حيث يطل شعب من
متألمي الموت، مع إصحاح من سفر إرميا في الجانب الأكثر هيجانًا،
أو بعقب شجر السرو في الجانب الغنائي الملحمي، لكن بلدًا حيث
الأكثر أهمية فيه أنه يمتلك قيمة أخيرة للموت بلون فضي معدني.
معدن.

الشفرة وعجلة العربة، الموسيقى واللحى الواخزة للرعاة،
والقمر الحليق، الذبابة، والخزائن الرطبة، والأقبية، والقديسون المغطون
بالمخمرات، الجير والخطوط الجارحة للمزاريب، ومتفرجون لديهم في

⁶² Juan de Valdés Leal (إشبيلية 1622-1609) رسام ونقاش إسباني

اشتهر أيضًا بكتابته عن شعيرة الأماسة.

⁶³ سلمانكا (بالإسبانية: Salamanca) أو شلمنقة، مدينة تقع في مقاطعة قشتالة

وليون في وسط شمال إسبانيا.

إسبانيا أعشاب صغيرة للموت، تلميحاً وأصوات ملموسة من أجل روح يقظة، تدعونا الذاكرة بالهواء الصلد لعبورنا.

ليس مصادفة أن كل الفن الإسباني ملتصق بسلسلة جبالنا، مليء بعوسج وحجارة حاسمة، حسرة بيلبيريو. 64 ليست مثلاً معزولاً، ولا رقصات المايسترو خوسيف ماريا دي بالدبييسو، 65 ليس بغتة أنه من كل البلاد 66 الأوروبية تتميز هذه المحبوبة الإسبانية:

(إن كنت صديقتي الجميلة

لم لا تنظرين إلي؟ قولي

العيون التي رأيتك بما

للظل أعطيتها

إن كنت حبيبتي الجميلة

كيف لا تقبليني قولي

الشفاه التي قبلتك بما

⁶⁴ من نصوص كتاب ثلستينا لمؤلفه Fernando de Rojas (1470 - 1541) من مواليد طليطلة، كاتب مسرحي وروائي. تعتبر الثلستينا من أهم الروايات الأدبية في العصور الوسطى وحتى عصر النهضة.

⁶⁵ Josef Maria de Valdivieso مهتم بالفلكلور الإسباني.

⁶⁶ شكل ثابت للأغنية المجاملة ظهرت نهاية العصور الوسطى في أوروبا، وتتطلب فصل الشعر عن الموسيقى لكن الموسيقى تصدر من القصيدة نفسها. والبلاد يتكون عادة من ثمانية مقاطع بالقافية نفسها، وتميز بوجود جوقة تقوم بتكرار المقاطع، وهي تشبه الموشحات إلى حد كبير. وكقاعدة عامة، في القرون الوسطى تبدأ البلاد دائماً مع كلمة الأمير.

للجبال أعطيتها
إن كنت حبيبتى الجميلة
كيف لا تحتضنينى قولى
الذراعان اللتان احتضنتك بهما
بالديدان غطيتهما). (هذه البلاد تعتمد على الجناس
والطباق في اللغة الإسبانية التي يستحيل تماهيا مع اللغة العربية. ت)
ليس غريبًا في فجر غنائياتنا الملحمية أن تظهر هذه الأغنية:

(داخل البستان
سأموت
داخل مشتل الزهور
اقتلوني
كنت سأغادر، يا أمي
الأزهار أقطفها
سأجد الموت
داخل البستان
كنت سأغادر يا أمي
الأزهار أقصها
سأجد الموت
داخل مشتل الزهور
داخل البستان

سأموت

داخل مشتل الزهور

اقتلوني).

الرؤوس التي جمدها القمر التي رسمها ثوربان، 67 الأصفر
الزبدى مع أصفر البرق لـ"الغريكو"، 68 حكاية الأب سيغوينثا، 69
أعمال غويا الكاملة، الأقواس المزخرفة في كنائس الإسكوريال، 70،
جميع أعمال النحت المزخرفة بألوان عدة، قبو منزل الدوق أوسونا،
71 الموت مع العيتارة في معبد البينيتيس في مدينة الريوسيكو، 72

67 (Francisco de Zurbarán) فرانثيسكو دي ثوربان (منريد 1598-1664)

رسام إسباني يعتبر رسام إسبانيا في العصر الذهبي.

68 إل غريكو (El Greco، أي "الإغريقي" (1541 - 1614) ولد في مدينة
كاندية (إيراكليون) بكرت/اليونان، اسمه الحقيقي دومنيكوس ثيوتوكوبولوس. رسام
ديني ومصمم وناقش يوناني عاش معظم حياته في إسبانيا في أواخر القرن السادس
عشر وأوائل القرن السابع عشر. عرثت لوحاته بالطابع الديني، كان رسامًا ونحاتًا،
ومعماريًا في عصر النهضة الأسبانية. وكان عادة يوقع على لوحاته بحروف
يونانية لاسمه كاملاً مؤكداً أصله اليوناني.

69 Fray José de Sigüenza فراي خوسيه دي سيغوينثا (1544-1606)

إسبانيا، مؤرخ وشاعر ولاهوتي بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، يعرف
بالأب بطرس السيغوينثي

70 El Escorial ال اسكوريال الإقامة التاريخية لملوك إسبانيا في مدينة سان
لورينثو دي ال اسكوريال، 45 كم شمال غرب العاصمة مدريد، يضم متحفًا كبيرًا
ومدرسة، يعتبر اليوم القصر الملكي الإسباني.

71 أوسونة (بالإسبانية Osuna) مدينة بمقاطعة إشبيلية في الأندلس ذاتية الحكم
بجنوب إسبانيا.

كل هذا يعادل ما هو تعبدي في موجات الحجيج إلى القديس سان اندريس تيخيدو، 73 حيث الأموات يأخذون مكاناً في الهوكب لأناشيد الدفن التي تغنيها نساء أستورياس، 74 بمصايح مليئة باللهب في ليلة تشرينية، إلى النشيد ورقصة العرافة في كاتدرائيات مدينتي مايوركا، 75 وطليلطة، 76 في العتمة مع ذكريات طرطوشة 77 (يكتبها الشاعر باللغة الكاتالانية). والطقوس التي لا تُحصى للجمعة

72 Medina de Rioseco مدينا دي ريوسيكو مدينة في الوادي الكبير يوجد فيها معبد لوس بينابيتي.

73 San Andrés de Teixido سان اندريس دي تيخيدو قرية في مقاطعة غاليسيا/ إسبانيا. أخذت اسمها نسبة للقديس سان اندريس. تعتبر مكاناً للحج.

74 أستورياس Asturias، مقاطعة في شمال إسبانيا، تتمتع بالحكم الذاتي. إلى جانب الإسبانية، تتحدث باللغة الأستورية المشتقة من اللاتينية، تشتهر أماكن تراثية عالمية ومنها خرج العديد من الشعراء والكتاب والمعماريين.

75 . 74 مَبُورَقَة كما كتبها المؤرخون المسلمون، Mallorca بالإسبانية، هي أكبر جزر إسبانيا في البحر المتوسط وجزء من أرخبيل جزر البليار كغيرها من جزر البليار، وهي أيضاً عاصمة منطقة الحكم الذاتي لجزر البليار.

76 (بالإسبانية: Toledo)، مدينة إسبانية عرفت باسم طليلطة أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا. وهي عاصمة مقاطعة طليلطة ومنطقة قشتالة لا منتشا في وسط إسبانيا. وكان العرب يسمون طليلطة مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم.

77 طرطوشة tortosino إحدى مناطق مقاطعة طركونة Tarragona الساحلية في إقليم كاتالونيا الإسباني.

العظيمة، 78 ومع طقوس مصارعة الثيران حد العبادة، 79 كل (ما سبق ذكره). هذا يشكل النصر الشعبي للموت الإسباني. في العالم، فقط، المكسيك يمكن لها أن تشبك يدها مع يد بلادي. عندما ترى ربة الشعر الموت يصل تُغلق الباب أو ترفع وطيدة قاعدة تمثال حجري أو تأخذ جرة الأورنا80 في نزهة.



جرة الأورنا

78 جمعة الآلام هو يوم مقدس للمسيحيين، وهو يوم الجمعة الذي يسبق عيد القيامة في أسبوع الآلام. وهي تكرر صلب يسوع المسيح كما يعتقد المسيحيون.

79 مصارعة الثيران بالإسبانية، رياضة أسبانية قديمة تتم فيها المواجهة بين المصارع والثور في حلبة على مرأى وسماع من الناس.

80 جرة تستخدم لجمع رواد محرقة الأموات. وتعود إلى الحضارة الإيتروسكانية، الاسم الحديث لحضارة عاشت في إيطاليا القديمة في منطقة توسكانا الحالية تقريبا.

وتكتب على شاهدة قبر بيد من شهد، لكنها في الحال تعود
لتمزق غارها بصمت يتأرجح بين نسمتين. تحت القوس المبتور لأغنية
الحداء، تجمع (الربة) بشعور جنائزي وروداً تشبه تمامًا ما رسمه إيطاليو
القرن الخامس عشر. وتنادي ديك لوكریتوس 81 المضبوط ليُرعب
ظلالاً طارئة.

عندما يرى الموت آتياً، الملاك يطير في دوائر بطيئة وينسج
بدموع من ثلج ونرجس المرثية التي رأيناها ترتجف بين يدي كيتس، 82

81 Tito Lucrecio Caro شاعر وفيلسوف روماني (99ق م - 55 ق م).
صاحب أطول قصيدة تعليمية حول طبيعة الأشياء مكونة من 7400 مقطع، تبدأ
بترنيمه للإلهة فينوس رمز الخصوبة، وتنتهي بمرثية عن الطاعون في أثينا.
82 جون كيتس (1795 - 1821) شاعر إنكليزي، أصبح واحداً من شعراء الحركة
الرومنتيكية الإنكليزية المهمين في مطلع القرن التاسع عشر.

وفي فيّاساندينو 83 وبين يدي إيريرا، 84 وبين يدي بيسكر، 85 وبين يدي خوان رامون خيمينث. 86

لكن يا لرعب الملاك إن أحس برملة، مهما كانت صغيرة،
على قدمه الطري المزهر!

في المقابل، الدويندي لا يأتي إذا لم ير احتمالات الموت، إذ لم يُعرف أنه يجب الطواف حول البيت، إذا لم يكن هناك ضمانه من أنه لا بد من هز هذه الأغصان التي يحملها جميعنا، التي ليس لها، ولن يكون لها عزاء.

بفكرة، بصوت موسيقي أو بإيماءة، يُحب الدويندي من البئر
الحواف في صراع صريح مع المبدع. الملاك والربة يهربان مع آلة

⁸³ فيلاساندينو (بالإسبانية: Villasandino)، هي إحدى بلديات مقاطعة برغش، التي تقع في منطقة قشتالة وليون، شمال غرب إسبانيا.

⁸⁴ Fernando de Herrera فرناندو دي إيريرا (إشبيلية 1534-1597) شاعر وكاتب إسباني من العصر الذهبي لقب "بالراني" يعتبر من أول المحدثين بالشعر الإسباني. وله كتابات شعرية نثرية بعنوان مرثي الحياة والموت.

⁸⁵ اسمه الحقيقي غوستاف دومينغيث باستيدا Gustavo Adolfo Domínguez Bastida، لكنه معروف باسم باكر، (1836-1870) شاعر وروا إسباني من الحركة الرومانسية مع أنه كتب بالواقعية، له تأثير أدبي قوي على الأجيال اللاحقة

⁸⁶ خوان رامون خيمينث، Juan Ramón Jiménez Mantecón شاعر إسباني حائز على نوبل للأداب 1956، (1881 - 1958) ولد في الجنوب الغربي من إسبانيا... انتقل إلى العيش في مدريد عام 1900 حيث لفت وأبهر شعراء البلاد للروح الإسبانية الخاصة والمتجددة في شعر، الرقيق.

الكمان أو بالبوصله أو بالفرجار، والدويندي يجرح، وفي علاج هذا الجرح، الذي لن يلتئم أبدًا، يكون ما هو غير مألوف، وما هو مبتكر في عمل الإنسان.

تتألف الحقيقة السحرية للقصيد في أن تكون دائمًا مسكونة بالدويندي لتعمّد بماء غامق كل الذين ينظرون إليها، لأنه مع الدويندي يكون من الأسهل أن نحب أن نفهم، وبالتأكيد أن تكون محبوبًا، أن تكون مفهومًا، وهذا الصراع من أجل التعبير ومن أجل تواصل التعبير يكتسب أحيانًا، في الشعر، سمات مميّنة.

تذكروا حالة راقصة الفلامنكو العظيمة المسكونة بدويندي القديسة سانتا تيريسا، 87 وهي فلامنكية ليست لأنها تربط ثورًا هائجًا وتعطيه ثلاث تمريرات رائعة، وقد فعلتها، وليست لأنها تتباهى بأنها فاتنة أمام فراي خوان دي لا ميسيريا، 88 ولا بسبب صفعها بالكف للمبعوث البابوي، إنما بسبب كونها إحدى القليلات من المخلوقات ذات دويندي (وليس ذات ملاك، لأن الملاك لا يهاجم أبدًا) تتناقله بالنبال، تريد قتل نفسها لأنها نزعّت سر الدويندي

⁸⁷ قديسة يسوع من كاتالونيا، كتب حياتها الرسام الإيطالي فراي خوان دي لا ميسيريا. ولقد كشف مؤخرًا عن مخطوطات هذه الكتابة وعن حالات تيه لهذه القديسة التي قالت كلامًا ناريًا في مدح الشتاء. ويندو أنها كانت مصارعة ثيران ومغنية فلامنكو كما يقول لوركا.

⁸⁸ رسام إيطالي أول من رسم القديسة تيريزا.

الأخير، الجسر الرقيق الذي يوحد الحواس الخمس مع هذا المركز في لحم حي، في غيمة حية، في بحر حي، من الحب المتحرر من الوقت. امرأة شجاعة متفاخرة. قاهرة الدويندي، وثمة حالة مغامرة، حالة فيليبي دي أوستريا، 89 بحيث يتوق في البحث عن ربة وملاك في اللاهوت، وُجد مسجوناً بدويندي الاحتدات الباردة في عمل الأوسكوريال، حيث الحلم يضع للهندسة حدًا لها، وحيث الدويندي يضع وجهًا صغيراً لربةٍ من أجل عقاب أبدي للملك الأعظم.

قلنا إن الدويندي يجب الحواف، الجرح، ويقترّب من الأماكن حيث الأشكال تنصهر في اشتياق عالٍ لتعبيراتها المرئية.

في إسبانيا (كما في شعوب الشرق، حيث الرقص هو تعبير ديني) يوجد للدويندي مجال بلا حدود فوق أجساد راقصات قادش. (اللواتي يمدحهن ممدوحات) مارثيال 90 فوق صدور الذين يغنون، ممدوحو خوينال، 91 وفي كل الطقوس الدينية عن الثيران، الدراما الدينية الأصيلة حيث، وبالطريقة نفسها التي تتبع في صلوات الكنيسة، يتوثن الرب ويُضحى له.

⁸⁹ Felipe IV de Austria (1605-1665) الملقب بالعظيم أو بملك الأرض، كان ملكاً لإسبانيا منذ 1621 حتى وفاته.

⁹⁰ Marco Valerio Marcial (40 ب م - 106 ب م) ينحدر من Bilbilis بيلبليس قرب سرغسطة/إسبانيا. حوالي 64 م ذهب إلى روما لاستكمال دراساته القانونية بإشراف الرواقي سينيكا، حاول الانتحار وعاش حياة بوهيمية.

⁹¹ Décimo Junio Juvenal (60 م - 128م)، شاعر روماني من أنشط شعراء نهاية القرن الأول ميلادي وبداية القرن الثاني.

يبدو وكأن كل دويندي العالم الكلاسيكي يتزاحم في هذه الحفلة المثالية، مستعرضاً للثقافة وللحساسية العظيمة لشعب يكتشف في الإنسان أفضل غضبه، وأفضل نكده، وأفضل نحيبه. ولا في الرقص الإسباني ولا في الثيران يتسلى أحد، الدويندي يتحمل مسؤولية خلق المعاناة بوساطة الدراما، فوق أشكال حية، ويهبط السلام إلى التهرب من الواقع المحيط.

الدويندي يشتغل على جسم الراقصة مثل الهواء على الرمال. يحول بقدرة سحرية فتاة إلى ممارسة قمرية، أو يملأ احمرار خدي المراهقين إلى عجوز مبتور يطلب الصدقة في حانات النبيذ، يُعطي بكل شعرة رائحة ميناء ليلي، وفي كل لحظة يشتغل على الساعدين بعبارات هي أخشاب لرقصة الأزمان كلها.

لكن مستحيل أن يتكرر أبداً، هذا أمر مهم جداً يجب إبرازه. الدويندي لا يتكرر، كما لا تتكرر أشكال البحر في العاصفة. في الثيران يكتسب لكتتهم الأكثر إدهاشاً، لأن عليه أن يتصارع، من جانب، مع الموت، الذي يمكن أن يدمره، ومن جانب آخر، مع الهندسة، مع القياس، قاعدة أساسية للحفلة. الثور له مداره، ومصارع الثيران له مداره، وبين مدار ومدار ثمة نقطة خطيرة، حيث يكون التقاء مدارات اللعبة الرهيبة.

يمكن امتلاك ربة مع عكازتين، 92 وملاك مع الرماح الصغيرة، 93 وأن تتحلل كمصارع ثيران جيد، لكن صنعة الانقراض أمام الثور الذي لا يزال نظيفاً من الدماء، وفي لحظة القتل، ثمة حاجة لمساعدة الدويندي ليعطي غرسة فنية حقيقية.

مصارع الثيران الذي يربع الجمهور في الساحة بتهوره ليس مصارع ثيران، إنما يكون في فضائية بينة، كأبي إنسان، بمقدوره أن يخاطر بحياته. في المقابل، مصارع الثيران المعضوض بالدويندي يعطي درساً لموسيقى فيثاغورثية ويفرض نسيان رمي القلب بثبات فوق القرون.

لاغارتبخو 94 له دويندي روماني، خوسيليتو 95 له دويندي يهودي، بيلمونت 96 له دويندي من الباروك، 97 وكاغانتشو 98 له

92 العكازان اللذان يستخدمان نتيجة كسور في القدمين، ويتم وضعهما تحت الإبطين.

93 الرماح الصغيرة التي يستخدمها مصارع الثيران لغرسها في جسد الثور.

94 Rafael Molina Sánchez (قرطبة 1841-1900) مصارع ثيران متميز، لقبه Lagartijo "لاغارتبخو"؛ أي السحلية.

95 José Gómez Ortega (Joselito) مصارع ثيران متميز لقب أولاً بالغايتو أي النيك الصغير، ثم بـ "خوسيليتو" وهو تصغير لاسمه خوسيه، (اشبيلية 1890-1920)، مات أثناء مصارعة لثور. كان رمزاً لما يعرف بالعصر الذهبي لمصارعة الثيران.

96 Juan Belmonte (1892-1962)، مصارع ثيران، الأكثر شعبية في تاريخ مصارعة الثيران، يعتبر مؤسساً لها مع خوسيليتو، صاحب الثورة الأولى في فن مصارعة الثيران، فقبله كانت مصارعة الثيران تتطلب التغلب على انفذاع الثور

دويندي غجري، كلهم يُعلّمون، منذ شفق الطوق، شعراء ورسامين وموسيقين، أربع طرق كبيرة من التقاليد الإسبانية.

إسبانيا هي البلد الوحيد حيث الموت هو مشهد وطني، حيث الموت يعزف بأبواق طويلة لوصول الربيع. وفتنّها يكون دائماً صلباً بدويندي حاد منحها اختلافها ونوعيتها في الابتكار.

بالسيطرة على رجليه بشجاعة وسماح، لكنه ابتدع طريقة القيادة، التوقف، التأمل، الانقضااض ومن مسافة قصيرة جداً بين المصارع والثور. فقد كانت نظرية المصارعة تقوم على قاعدة "إما تتزح أنت وإما يزحك الثور"، فأبدلها بـ"لا تزح أنت ولا ينزح الثور".

⁹⁷ الباروكية هو مصطلح يستخدم لوصف الحركة الثقافية (التي تشمل الأدب والفلسفة والفن والموسيقى) في العصر الذي بدأ في نهاية القرن السادس عشر وانتهى في منتصف القرن الثامن عشر. ولذلك، يطلق اسم "الباروك" على الأحداث الفنية المتعلقة بالخيال الواسع. ومع ذلك، من وجهة نظر فنية، يتخلل هذه الحقبة النمط الكلاسيكي الذي كان عموماً نقطة مرجعية مشتركة للفنانين من جميع الاتجاهات... يتميز فن الباروك بإظهار حركة زائدة وواضحة والتركيز على التفاصيل، بحيث توحى بطابع درامي وبوجود توتر... بدأ ظهور هذا الطراز الفني في روما حوالي عام 1600.

⁹⁸ Joaquín Rodríguez Ortega Cagancho (إشبيلية 1903-المكسيك 1984). مصارع ثيران، غجري، تحول إلى أسطورة في مصارعة الثيران، عاش في المكسيك وتوفي فيها بعد أن مارس بتميز الكثير من مصارعة الثيران.

الدويندي الذي يملأ الدم، لأول مرة في النحت، في خديّ
قديسي ماتيو مايسترو دي كومبوستيلا، 99 إنه نفسه الذي يجعل
القديس سان خوان دي لا كروث 100 يتأوه أو يحرق جنّيات عاربات
بالسونواتات 101 الدينية لـ"لوي". 102
الدويندي الذي يرفع قلعة ساءغون، 103 أو يشتغل حجارة
حارقة في كالاتايدود، 104 أو تيروال، 105 إنه نفسه الذي يمزق غيوم
الغريكو. 106

99 El Maestro Mateo en Santiago de Compostela (غرناطة
1150-1217) نحات ومعماري. اشتهر بأعماله الفنية في الكنائس والكاتدرائيات.
نحت تماثيل للقيسين تكاد تنطق.

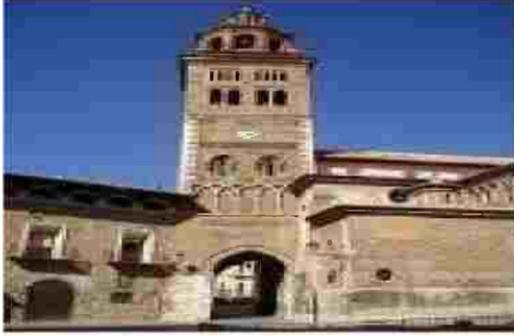
100 San Juan de la Cruz (1542-1591) قديس إسباني من جماعة
الكرمل الحفاة، شاعر صوفي، يعتبر عراب الشعراء الأسبان.

101 السونيت (بالإنكليزية: Sonnet) مشتقة من الكلمة الإيطالية "sonetto"
ومعناها "الأغنية الصغير". هي نوع من أنواع الشعر الغربي. في القرن الثالث
عشر، أصبحت الكلمة تشير إلى قصيدة مشهورة من 14 شطرًا و 11 مقطعًا تتبع
قافية ووزنًا.

102 Fray Filippo di Tommaso Lippi (1406-1469) رسام إيطالي برز
في رسم المشاهد والمناظر الطبيعية بأناقة ألوانه.

103 Sahagun قلعة ساءغون (حرف الهاء لا يلفظ بالإسبانية). إلى الجنوب
الغربي من مقاطعة ليون الإسبانية. وفي هذه القلعة ساعة ضخمة.

104 Calatayud مدينة من مقاطعة سرغسطة تشتهر بأثارها المعبرّة عن فن رائع
في بناء القلاع والكاتدرائيات والزخرفة المعمارية. إحدى هذه القلاع تسمى قلعة
أيوب بحيث انتقلت هذه التسمية إلى اسم المدينة كال أت أيود.



قلعة بناها الموحدون

ويجعل غثالين¹⁰⁷ كيببدو¹⁰⁸ يدورون بالركلات، وكذلك
حيوانات غويا الخرافية.

عندما تمطر، يخرج بيلانكيث¹⁰⁹ ذو الدويندي، في السر،
خلف ملوكه الرماديين. عندما تتلج تجعل ايريرا، يخرج عارياً ليثبت أن

¹⁰⁵ Teruel مدينة إسبانية في مقاطعة أراغون تشتهر بقلاعها وأثارها المعمارية
ومنها قلعة بناها الموحدون.

¹⁰⁶ انظر هامش: 67.

¹⁰⁷ غثالين تعني الرجال الذين ينقلون الأوامر في مصارعة الثيران ويضبطون
النظام (شريف).

¹⁰⁸ فرانسيسكو دي كيبدو (1580 - 1645) سياسي وكاتب إسباني في العصر
الذهبي الإسباني، كان واحداً من أبرز الشعراء الأسبان في ذلك العصر. كتب في
الشعر والسياسة والسخرية، منها روايته الواقعية عن التشرد وحياة الطبقات الدنيا
وعنوانها: تاريخ دون بابلو دي سيجوفي المعروفة باختصار إل بوسكون. وعن
"غثالين كيبدو" يقصد لوركا المجموعة القصصية لكيبدو بعنوان غثالين مسهم
الشيطان.

البرد لا يميت. عندما تحرق، تدخل بيرروغيتي 110 في لهيبها وتجعله
يخترع فضاء جديدًا للنحت.

ربة غونغورا 111 وملاك غارثيلاسو 112 عليهما أن يطلقا
أكاليل الغار عندما يمر دويندي سان خوان دي لا كروث، عندما
يُنْتَهك الأيل في الربوة المطلّة.

ربة غونزالو دي بيرثيو، 113 وملاك ارثيرستي دي ايتا 114
عليهما الابتعاد ليفسحا مجالاً لـ "خورخي مانريكي" 115

¹⁰⁹ ديفغو رودريغز دي سيلفا إي بيلانكيث (1599 - 1660) رسام إسباني من أشهر أعماله لوحة البابا إنوسنت العاشر (1650)، واستسلام بيردا (1635)، = وخادما الشرف (1656)، حيث تحتوي على تقنيات استثنائية وبراعة في استخدام الإضاءة. يعد من أشهر فناني الأسلوب الباروكي.

¹¹⁰ Pedro Berruguete (1450-1503) رسام إسباني أهم من نقل الرسم من مدرسة غوتا إلى عصر النهضة في إسبانيا.

¹¹¹ Luis de Góngora y Argote (قرطبة 1561-1627) شاعر إسباني وكاتب مسرحي في العصر الذهبي، أصبحت كتاباته مدرسة سميت باسمه الغونغورية.

¹¹² غارثيلاسو دي لا فيغا (1503 - 1536) شاعر ينتمي إلى العصر الذهبي، بالإضافة إلى عمله في إيطاليا لدى جيش كارلوس الأول. يُعد غارثيلاسو واحدًا من أعظم الكتاب الأسبان في التاريخ.

¹¹³ Gonzalo de Berceo (1197-1264) شاعر إسباني يعتبر أول شاعر عرفته اللغة الإسبانية، مع تشكلها القرن الثاني عشر الميلادي؛ أي عندما انتقلت اللغة الإسبانية من اللهجة اللاتينية.

عندما يأتي جريغًا من موت إلى أبواب قلعة بيلمونتي.
ربة غريغوريو إرنانديث، 116 وملاك خوسيه دي مورال 117
عليهما الابتعاد كي يعبر الدويندي الذي يبكي دموعًا من دم في مينا،
118 والدويندي برأس ثور آشوري لـ"مارتينيث مونتانياس"، 119 وكما
الربة المصابة بالملووخيا لكاتالونيا 120 والملاك المبلل لغاليسيا 121 لهما
أن ينظرا، باندهاش محبب، إلى دويندي كاستيبيا، 122 بعيدًا جدًّا عن

114 Juan Ruiz ولقب بـ Arcipreste de Hita (1284-1351) شاعر
وزرائي إسباني أول من كتب رواية شعرية متنوعة الثيمات، تعتبر من أهم ما كتب
في العصور الوسطى.

115 Jorge Manrique (1440-1479) من أهم شعراء عصر النهضة في
إسبانيا.

116 Gregorio Hernández (1576-1636) نحات إسباني له أروع أعمال
النحت الخشبي في عصر الباروك.

117 José de Mora (1642-1724 قرطبة) نحات إسباني له أعمال متميز،
للسيد المسيح ومريم العذراء والقديسين.

118 نحات إسباني متين صور آلام المسيح وصبر، في النحت.
119 Juan Martínez Montañés (اشبيلية 1568-1649) نحات إسباني
تنتمي أعماله لعصر النهضة والباروك.

120 تعتبر كتالونيا أحد بلدان أوروبا المتوسطية وهي إحدى المقاطعات الإسبانية
السبعة عشر المتمتعة بالحكم الذاتي والتي تشكل أراضي الدولة الإسبانية.

121 غاليسيا أو جليقية (Galicia) هي منطقة حكم ذاتي في إسبانيا.

122 قشتالة (بالإسبانية: Castilla) مملكة سابقة تاريخية اندمجت تدريجيًا مع
جيرانها لتصبح تاج قشتالة ثم مملكة إسبانيا لاحقًا.

الخبز الحار والبقرة الحلوة التي ترعى بأعراف السماء مكنوسة وجبال جافة.

دويندي "كبيبدو" ودويندي "ثيرفتس"، 123 بشقائق نعمان خضراء (وليست حمراء) ومن كبريت للأول، وورود من حص "رويديرا" 124 للثاني، قد كللا إطار محراب دويندي إسبانيا.

كل فن لديه، كما هو طبيعي، دويندي بشكل وغط مختلفين، لكن جميعها توحد جذورًا في نقطة، حيث تتدفق أصوات الغناء الأسود لـ"مانويل تورريرس"، 125 مادة نهائية وعمقًا مشتركًا غير مسيطر عليه، مقشعًا زنده الخشبي، اللحن، القماش، وأحرف النطق. أصوات موسيقية سوداء، التي توجد خلفها، منذ حين بحميمية طرية، البراكين. النمل، الصبا، والليللة العظيمة تضغط الخصر بدرب التبانة.

السيدات والسادة:

لقد رفعت ثلاثة أقواس، ويبد خرقاء، وضعت فيهم الربة، والملاك، والدويندي.

¹²³ ميغيل دي ثيربانتيس سابيدرا (1547م-1616م) هو كاتب إسباني. اشتهر بروايته "دون كيشوت دي لمانشا" أو (دون كيكوتي)، وهي شخصية مغامرة حاملة تصدر عنها قرارات لاعقلانية.

124 (Ruidera Lagunas) هي مجموعة من البحيرات الصغيرة في كامبو دي مونتيل، بين مقاطعة الباشيتي، ومقاطعة سيوداد ريال، إسبانيا.

¹²⁵ انظر هامش: 5.

الربة تستمر ثابتة هادئة، يمكنها امتلاك غلالة بثنيات صغيرة أو عيني بقرة تنظران في بومباي إلى الأنف الكبيرة للوجوه الأربعة التي رسمها صديقها العظيم بيكاسو. 126 الملاك يمكنه أن يهز شعر أنتونيو دي ميسينا، 127 غلالة ليبي وآلة الكمان لـ"ماسولينو 128 أو لـ" روسو.

الدويندي... أين هو الدويندي؟. من القوس الفارغ يمر هواء معدني، بحيث ينفخ بإصرار فوق رؤوس الأموات، في البحث عن مشاهد جديدة ولكنات مجهولة، هواء برائحة لعاب طفل، بعشب متجدد وخمار ميدوسا، 129 التي تعلن التعميد الدائم للأشياء المبتدعة لتوها.

¹²⁶ بابلو بيكاسو رسام إسباني (1881-1973) من أشهر رسامي العالم.

¹²⁷ Antonello da Messina (صقلية 1430-1479) رسام إيطالي، يعتبر أحد الذين أدخلوا التقنية التصويرية بالرسم الزيتي، جمع بين الثقافة التنويرية للفلامنكو مع الثقافة الإيطالية لنحت التماثيل.

¹²⁸ Masolino da Panicale (1383-1440) رسام إيطالي.

¹²⁹ ميدوسا كانت في البدء بنتاً جميلة، غير أنها مارست الحب مع بوسيدون في معبد أثينا، وهذا ما جعل أثينا تغضب، فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر كما حولت شعرها إلى ثعابين وكان كل من ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر. وبما أن ميدوسا كانت قابلة للموت، فقد تمكن بربسيوس، بمساعدة هرس، حسب الميثولوجيا الإغريقية، من القضاء عليها وقطع رأسها لما نظر إلى صورتها انعكاسها في درع أثينا، وأهدى رأسها لأثينا التي كانت قد ساعدته، وقامت بوضعه على درعها المسماة بالأغيثس. أنجبت ميدوسا من بوسيدو طفلين.

دردشة حول المسرح

فيدريكو غارثيا لوركا

الأصدقاء الأعزاء

قبل وقت قطعت وعدًا حازمًا أن أرفض أي نوع من التكريمات؛ من الولايم أو الحفلات، التي تقام على شرف شخصي المتواضع.

أولاً: لأنني أفهم أن أي تكريم هو بمثابة وضع لبنة على قبرنا الأديبي.

وثانياً: لأنني رأيت أنه لا يوجد شكل أكثر إقفاراً من الخطاب البارد على شرفنا. ولا توجد دقيقة أكثر حزناً من التصفيق المنظم، حتى لو كان بحسن نية.

أيضاً، وهذا سر، أظن أن الوليمة ولفائف الخطابات المكتوبة على جلود الماشية يجلبان الفأل السيئ للرجل الذي يتلقاها. الفأل، والحظ السيئ ينولدان من السلوك المتعب للأصدقاء الذين يفكرون بطريقة " لقد رفعنا العتب معه".

المأدبة هي لقاء الأشخاص المحترفين، الذين يأكلون معنا، وأين هم، فرادى أو بالزوج، الأشخاص الذين يريدوننا بشكل أقل في الحياة.

بالنسبة للشعراء والدراميين، وبدلاً من التكريم، كنت سأنظم الهجمات والتحديات التي من خلالها عليهم أن يجيئوا بشراسة وبوحشية حقيقية على هذا: "أتحدك أنك لا تملك الشجاعة للقيام بهذا أو ذاك وأنك لا تستطيع أن تعبر عن لوعة البحر في شخصية مسرحية! وأنك لا تجرؤ على الحديث عن إحباط الجنود الأعداء في الحرب!"

حزماً وصرعاً، مع خلفية من الحب الشديد، تدوزنان روح الفنان، الذي يتأنت ويتشظى في الإطراء السهل. المسارح تملئ بحوريات خادعة مكلفة بزهور الدفينة، والجمهور منتشياً يصفق لرؤية قلوب من نشارة الخشب وحوارات من ورود الأسنان. لكن الشاعر الدرامي يجب ألا ينسى، إذا أراد أن يتخلص من النسيان، حقول الورد، يبللها الفجر، حيث يعاني المزارعون، وذكر طير الحمام، الذي جرحه صياد غامض، ينازع الموت بين القصب والخوص دون أن يسمع أحد أنينه.

وأنا أفرّ من الحوريات والتنهائي والأصوات الكاذبة، لم أقبل أي تكريم بمناسبة العرض الأول لمسرحية إيرما Yerma؛ لكن تملكني أعظم فرحة في حياتي القصيرة ككاتب مسرحي، عندما علمت أن عائلة مدريد المسرحية كانت قد طلبت من الممثلة Margarita Xirgu مارغريتا إكسيريغو العظيمة، ممثلة من تاريخ الفن الطاهر، ومن نجوم المسرح الإسباني ومبدعة رائعة للدور، مع

الشركة التي تدعمها ببراءة فائقة، تمثيل خاص لرؤيتها.. هذا يعني الفضول والاهتمام بمجهود مسرحي رائع. الآن، ونحن مجتمعين، أنزع قبعتي وأقدم أصدق الشكر للجميع.

أنا لا أتحدث الليلة كمؤلف أو كشاعر، أو كطالب بسيط أمام البانوراما الغنية لحياة الإنسان، ولكن كواحدٍ من المتحمسين لمسرح العمل الاجتماعي.

المسرح هو واحد من الأدوات الأكثر تعبيراً وفائدة لبناء دولة، وهو المقياس الذي يحدد عظمتها أو انحطاطها.

يمكن للمسرح الحساس والموجه في جميع فروعها، من المأساة إلى الكوميديا اللاذعة، أن يغيّر في غضون سنوات قليلة حساسية الناس. أما المسرح المهشّم، حيث الحوافر تعوض الأجنحة، فإنه يسفّه ويخدّر أمة بأكملها.

المسرح هو مدرسة للبكاء والضحك، ومنبر مجاني حيث يمكن للرجال أن يُخرجوا أخلاقاً قديمة ويقدموها بتجديدٍ فعّال؛ أو أخلاقاً ملتبسة ويشرحون بأمثلة حية القواعد الخالدة للقلب والشعور بالإنسان.

الشعب الذي لا يساعد ولا يشجع مسرحه، إذا لم يكن ميتاً فإنه يموت. كما أن المسرح الذي لا يلتقط نبض المجتمع، ونبض التاريخ، ودراما شعبه واللون الحقيقي لمشهده ولروحه، بالضحك أو

بالدموع، لا يحق له أن يسمى مسرحًا، بل غرفة ألعاب أو موقعًا للقيام بهذا الشيء الرهيب والذي يسمى "قتل الوقت".

لا أقصد أي شخص ولا أريد أن أخرج أحدا. لا أتحدث عن الواقع الحي، بل عن المشكلة المطروحة دون حل.

أسمع كل يوم، أيها الأصدقاء الأعزاء، حديثًا عن أزمة المسرح، وأعتقد دائمًا أن الشر ليس أمام أعيننا، ولكنه في أحلك جوهره. إنه ليس شرًا للزهرة الحالية، أو للأداء، ولكنه جذر عميق، وهو باختصار سوء تنظيم.

وطالما يكون الممثلون والمؤلفون في أيدي شركات تجارية بشكل مطلق، حرة وبدون أية رقابة أدبية أو حكومية من أي نوع، فإن الشركات التي تصوم عن كل المعايير ودون ضمانات من أي نوع، سوف تُغرق كل الممثلين والمؤلفين والمسرح بأكمله كل يوم أكثر، ولا خلاص ممكن.

المسرح الحلو للمجلات الخفيفة، عن الكوميديا السوداء والهزلية، والتي أنا مشاهد هاوٍ لها يمكنه الدفاع عن نفسه، بل إنقاذ نفسه. ولكن المسرح الشعري، النوع التاريخي وما يسمى بالزاراجية الإسبانية (المسرحية الغنائية والمحكية)... كل هذا سوف يعاني كل يوم من المزيد من الانتكاسات، لأنها أنواع تتطلب الكثير وحيث تستقيم الابتكارات الصحيحة، ولا توجد سلطة أو روح مضحية لفرضهما على الجمهور الذي يجب ترويضه بالعليّ ومعارضته ومهاجمته في مناسبات عديدة.

يجب أن يفرض المسرح على الجمهور وليس الجمهور على المسرح. لذلك، يجب على المؤلفين والممثلين أن يجددوا ارتداء الملابس، وأن يدفعوا بالدم مقابل ذلك، وبمسئولية كبيرة لأن جمهور المسرح يشبه الأطفال في المدارس إنهم يعشقون المعلم الخطير والمستقيم الحازم والعاقل، ويمأأ الكراسي بالإبر القاسية، حيث يجلس المعلمون الخجولون والمتملقون، الذين لا يُعلّمون ولا يدعون الآخرين يتعلمون.

يمكن أن يُعلّم الجمهور، بدقة أقول الجمهور، وليس الشعب. يمكن تعليمه، لأنني رأيت ركالات ل دييوسي 130 ورافيل 131 منذ سنوات، وقد حضرت بعد ذلك التصفيق العارم الذي قدمه جمهور شعبي لتلك الأعمال التي تم رفضها بالركالات من قبل.

¹³⁰ كلود أشيل دييوسي واحد من أشهر وأهم مؤلفي الموسيقى في فرنسا وواحدًا من

أهم المؤلفين في القرن العشرين

¹³¹ جوزيف موريس ريغل، 1875-1937، مؤلف موسيقي فرنسي اشتهر بألحانه، والحبكة الآلاتية والأوركسترالية وأثارها التي تمتعت بها أعماله. ودخلت الكثير من أعماله الخاصة مثل البيانو، وموسيقى الحجر، والموسيقى الغنائية والأوركسترالية ضمن مراجع معايير الموسيقى.

تم فرض هذه المعايير من قبل معيار سلطة أعلى من قبل الجمهور العادي، مثل فديكندWedekind 132 في ألمانيا وبيرانديللو Pirandello 133 في إيطاليا، وغيرهما الكثير.

هناك حاجة لفعل هذا من أجل مصلحة المسرح وللمجد ومكانة مؤلفي المسرحيات. يجب أن نحافظ على مواقف كريمة، مع التأكيد على أنهم سيكافؤن بالكثير الكثير.

والعكس هو الارتجاف من الخوف وراء الكواليس وقتل الفانتازيا، والخيال ونعمة المسرح، التي هي دائما، دائما، فن، وستظل دائما فناً رائعاً، على الرغم من أنه كان هناك وقت أطلقت فيه تسمية الفن على كل ما كنا نحب، كي نخفض المناخ لتدمير الشعر وجعل خشبة المسرح مثل ميناءarrebatacapas

الفن فوق كل شيء. الفن نبل، وأنتم، أيها الممثلون والفنانون الأجزاء، أنتم فوق كل شيء. فنانون من الرأس إلى أخمص القدمين، طبعاً بسبب الحب والموهبة قد صعدتم الى العالم الممثل والمؤلّم لخشبات المسرح، فنانون بالمهنة والقلق.

¹³² فرانك فديكند. كاتب مسرحي ألماني. 1864 - 1918. شب فديكند في سويسرا وأصبح صحافياً، وعمل لفترة من الوقت مديراً للدعاة في شركة ماجي. ومنذ عام 1890 أصبح كاتباً حراً في ميونخ.

¹³³ Luigi Pirandello - كاتب ومسرحي وشاعر إيطالي، حصل على جائزة نوبل للأدب عام 1934.

من المسرح الأكثر تواضعا إلى الأكثر رفعةً، يجب أن تُكتب كلمة "فن" في القاعات وغرف ارتداء الملابس، لأنه إذا لم يكن كذلك سيكون علينا أن نضع كلمة التجارة أو كلمة أخرى لا أجرؤ على قولها.

المكانة، والانضباط والتضحية والمحبة. لا أريد أن ألقنكم درسا، لأنني في وضع يسمح لي بتلقيه.

كلماتي تملئها الحماسة والثقة. أنا لست شخصا مخدوعا. لقد فكرت كثيرا، وبرودة، ما أفكر به، وكأي أندلسي جيد، لدي سر البرودة لأن فيّ دمًا قديماً.

أعلم أن الحقيقة لا يملكها ذلك الذي يقول: "اليوم، اليوم، اليوم"، ويأكل خبزه مع نار الفرن إنما ذلك الذي بصفاءٍ ينظر بعيداً الى أول ضوء في فجر الحقل.

أعلم أنه لا يملك الصواب من يقول: "الآن، الآن، الآن" بعينين مصويتين على الفم الصغير لشباك التذاكر، إنما ذلك الذي يقول: "غدا، غدا، غدا". ويشعر بالحياة الجديدة القادمة على العالم.

أغاني قبل النوم للأطفال

(نانا-الأطفال)

فيديريكو غارسيا لوركا

السيدات والسادة:

في هذه المحاضرة، لا أعتمز، كما في السابق، تحديد مفاهيم،
إنما سأقدم تأكيدات؛ لا أريد أن أخطئ، ولكنني أقترح. أشجع،
بالمعنى الدقيق.

جرح الطيور النعسانة. وحيث توجد زاوية مظلمة، يجب أن
نضع انعكاسا للسحابة الممتدة، وإهداء بعض المرايا الجيبية للسيدات
اللواتي يحضرن.

كنت أرغب في النزول إلى ضفاف القصب. من تحت
القرميد الأصفر. عند مخارج القرى، حيث يأكل النمر الأطفال.

أنا، في هذه اللحظة، بعيد، عن الشاعر الذي ينظر إلى
الساعة، بعيد عن الشاعر الذي يصارع التمثال، الذي يصارع النوم،
الذي يكافح مع علم التشريح.

لقد هربت من جميع أصدقائي، وسأذهب مع ذلك الصبي،
الذي يأكل الفاكهة الخضراء ويراقب النمل يلتهم الطائر الذي سحقته
سيارة.

سوف تجدونني عبر أنقى شوارع البلدة. عبر الهواء المسافر،
والانتشار الخفيف للألحان التي أطلق عليها رودريغو 134كارو
Rodrigo Caro "الأمهات المجلات" لكل الإنشاد عبر جميع
الأماكن التي تفتح فيها الأذن الرقيقة للطفل، أو الأذن البيضاء
للطفلة التي تنتظر، مليئة بالخوف، الدبوس الذي يفتح الثقب الى
القرط.

في كل التجولات التي قمت بها عبر إسبانيا متعب قليلا
من الكاتدرائيات، من الحجارة الميتة، من مناظر طبيعية فيها روح،
بدأت بالبحث عن العناصر الحية، الأبدية حيث لا تتجمد اللحظة،
العناصر التي تعيش حضورا مرعبا. ومن بين اللانهايات الموجودة،
فلقد اتبعت اثنتين: الأغاني والحلويات.

بينما تظل الكاتدرائية ثابتة في حقبتها، وتقدم تعبيراً مستمراً
عن البارحة إلى المشهد المتحرك دائماً، تقفز أغنية فجأة من ذلك
الأمس إلى لحظتنا، حية ومليئة بالخفقان مثل ضفدعة. انضمت الى
البانوراما مثل أكمة حديثة، تجلب الضوء الحي من الساعات القديمة،
بفضل صفير اللحن.

جميع المسافرين مشوشين. لمعرفة قصر الحمراء في غرناطة.
على سبيل المثال، قبل القيام بجولة في ساحاته وصلاته، يكون من
المفيد أكثر، وأكثر تربوياً، أن يؤكل الفاجو اللذيذ أو كيك الراهبات،

134- Rodrigo Caro رودريغو كارو

مما يعطي، مع المذاق والنكهة، درجة الحرارة الأصلية للقصر عندما كان حياً، وكذلك الضوء القديم والنقاط الفلكية لمزاجه الجريح.

في اللحن، كما في الحلويات، تلجأ عاطفة التاريخ، نورها الدائم بلا تواريخ وبلا أفعال يأتي الحب ونسمة بلاد، في النغمات أو في عجينة نوغا التوروني¹³⁵، تجلب الحياة الحية من الحقب الميتة، على عكس الحجارة، الأجراس، الأشخاص، الطابع وحتى اللغة. تجلب حياة منتعشة من الأوقات الميتة. على النقيض من الحجارة، والأجراس، والناس بشخصها بما في ذلك لغتها.

اللحن أكثر بكثير من النص يعرف الشخصيات الجغرافية والخط التاريخي للمنطقة ويشير بشكل حاد إلى لحظات محددة من ملف التعريف الذي محاه الزمن فالغناء الشعبي الرومانسي بالطبع ليس مكتملاً مادام لا يحمل لحنه الخاص به، الذي يعطيه الدم والخفقان والهواء الفظ أو الإيروتيك حيث تتحرك الشخصيات.

اللحن الكامن مبنى مع مراكزه العصبية وأغصانه في الدم يضع حرارة حية وتاريخية على النصوص التي أحياناً يمكن أن تكون فارغة وأحياناً أخرى لا قيمة لها أكثر من تلك التي يتم فيها استحضارات بسيطة.

¹³⁵ توروني) بالإيطالية (torrone: أو نوغا هي حلوى تقليدية لعيد الميلاد في إسبانيا وإيطاليا، تصنع عادة من العسل والسكر وبياض البيض مع اللوز المحمص أو المكسرات الأخرى تكون على شكل قرص عادة بشكل مستطيل أو مستدير.

قبل المضي قدماً، يجب أن أقول: إنني لا أنوي طرق
المسار في المسائل التي أتعامل معها، أنا في خط شعري، حيث
ال"نعم" وال"لا" من الأمور هما صحيحان على حد سواء.
إذا سألتموني: "هل ليلة مقمرة قبل مائة عام تكون مماثلة
لليلة مقمرة قبل عشرة أيام؟"

"يمكن أن أوضح (ومثلي أي شاعر آخر مالك لآلياته) أنه
كانت متطابقة وأنه كانت مختلفة بنفس الطريقة وبنفس اللكنة عن
الحقيقة التي لا نزاع فيها.

أحاول تجنب المعطيات البحثية التي عندما لا يكون لها جمال
كبير تتعب الجماهير وبدلاً من ذلك أريد أن أركز على معطى
العاطفة، لأنه بالنسبة لكم يهمكم أكثر معرفة ما إذا كان ينبع من
اللحن نسيم مثقوب يمرض الحلم، أو يمكن للأغنية أن تضع منظرًا
بسيطاً أمام عيني طفل تفاجأ لتوه.

لمعرفة ما إذا كان هذا اللحن من القرن السابع عشر أو إذا
كان مكتوباً على إيقاع 3 على 4، أمر يجب أن يعرفه الشاعر ولكن
لا يتكرر وهذا متاح حقاً لجميع أولئك الذين يتفرغون لهذه القضايا.
قبل بضع سنوات عندما كنت أتجول في ضواحي غرناطة سمعت امرأة
من القرية تعني وهي تنوم طفلها.

لقد لاحظت دائماً الحزن الشديد لأغاني المهدي في بلادنا.
لكن أبداً لم تكن مثل ذلك الحين حيث شعرت بهذه الحقيقة بشكل
ملموس عندما اقتربت من المغنية لكتابة الأغنية، لاحظت أنها كانت

أندلسية جميلة، مبتهجة دون أدنى درجة من الكآبة. لكن تقليدًا حيًا عمل على ذلك، وقام بالمهمة بإخلاص كما لو كانت تستمع إلى الأصوات القديمة المتنجرة، التي كانت تنزلق في دمه.

منذ ذلك الحين حاولت جمع أغاني المههد من جميع الأماكن في إسبانيا. أردت أن أعرف بأية طريقة تنوم نساء بلدي أبناءهن وبعد فترة أخذت الانطباع بأن إسبانيا تستخدم أحيانًا لتلوين أول النوم لأطفالها.

ليس المقصود أنموذجًا أو أغنية معزولة في منطقة، لا؛ جميع المناطق تبرز شخصياتها الشعرية وخلفيتهم من الحزن في هذه الفئة من الأغاني من أستورياس Asturias وغاليسيا Galicia إلى الأندلس Andalucía ومورسيا Murcia، مرورًا بالزعفران والطريقة الراضة لقشتالا Castilla.

هناك أغنية مهد أوروبية ناعمة ورتيبة، والتي يمكن أن يستسلم لها الطفل بكل المتعة، ويعرض كل استعداداته للنوم. تقدم فرنسا وألمانيا أمثلة مميزة ومن بيننا، يقدم الباسكيون 136 النوتا الأوروبية في أغانيهم للأطفال بغنائية مماثلة لأغاني الشمال النوردية 137، المليئة بالحنان والبساطة الرقيقة.

vasco¹³⁶ - هو مجتمع إسباني مستقل بذاته، يعتبر من الجنسيات التاريخية، ويقع على الطرف الشرقي من ساحل البحر الكانتابري، على الحدود مع فرنسا. وهي مكونة من ثلاث مقاطعات هي فيزكايا وغويبيوكوا وألفا.

137 - Nordico نسبة إلى سكان الشمال.

أغنية المهدي الأوروبية ليس لها أي غرض آخر سوى أن ينام
الطفل دون أن ترغب مثل الإسبانية أن تؤدي حساسيته في نفس
الوقت.

الإيقاع والرتابة لهذه الأغنيات التي أسميها أوروبية يمكن أن
تجعلهم يظهرون كأباتهم، لكنهم ليسوا كذلك. هي أحزان عن طريق
المصادفة، مثل تيار من الماء أو ارتجاف أوراق في لحظة معينة.
لا يمكننا الخلط بين الرتابة والملونوخيا. لب أوروبا ينشر
الستائر الرمادية الكبيرة أمام أطفالهم كي يناموا بسلام. مناقب
مزدوجة من الصوف والجرس. بأكثر قدر من اللباقة.

الهدهدات الروسية التي أعرفها من كل موسيقاهم، على
الرغم من الشائعات السلافية 138 الجانبية والخزينة، ونتوء الوجنة
والبعد (المسافة)، لا تمتلك الوضوح من غير غيوم الإسبانيات، ولا
التحيز العميق والبساطة المثيرة للشفقة التي تميزنا. يمكن للطفل أن
يتحمل حزن النانا الروسية، كما هو الحال في يوم ضبابي خلف
الزجاج. لكن في إسبانيا لا.

138 - eslavo السلاف، أو الصقالبة هم مجموعة عرقية لغوية يتحدثون باللغات
السلافية. يستقرون أساساً في أوروبا الوسطى، وأوروبا الشرقية، ودول البلقان وقاموا
في العصور الأخيرة باستيطان آسيا الشمالية. ينقسمون إلى سلاف شرقيين (الروس
والأوكرانيين والبيلاوسيين)، سلاف غربيين (اليونانيين والسلوفاكيين والتشيكيين)
وسلاف جنوبيين (السلوفينيين والكروات والصرب والمقدونيين واليونانيين والبلغار).

إسبانيا هي بلد الملامح. لا توجد حدود غائمة حيث
يمكنك الهروب إلى عالم آخر. كل شيء مرسوم ومحدد بالطريقة الأكثر
دقة. شخص ميت هو ميت أكثر في إسبانيا من أي جزء آخر من
العالم. والشخص الذي يريد أن يقفز عن النوم يؤدي قدميه بموسى
حلاق.

لا أريد أن تعتقدوا أنني جئت للحديث عن إسبانيا السوداء
إسبانيا المأساوية الخ الخ فهذا موضوع خادع جدا ويفتقر إلى الكفاءة
الأدبية في الوقت الحالي.

لكن المناظر الطبيعية للمناطق التي تمثلها بشكل مأساوي،
وهي تلك التي يتحدث بها، الإسبانية، لها نفس اللكنة الصعبة،
والأصالة الدرامية نفسها، والهواء نفسه من الأغاني التي تنبت فيه.
يجب أن ندرك دائماً أن جمال إسبانيا ليس هادئاً، حلواً، هادئاً، بل
متقدماً، محترقاً، مفرطاً، وأحياناً بدون مدار.

الجمال دون ضوء، مخطط ذكي للالتفاف عليه، وهذا،
أعمى من خلال تألقه، يكسر رأسه على الجدران.

يمكن العثور في المجال الإسباني على إيقاعات مفاجئة أو بنى
لحنية كاملة الغموض وقدماً يفلت من نطاقنا. لكننا لن نجد أبداً
إيقاعاً أنيقاً واحداً، يعني، أنها تعي ذاتها، وتأخذ بالتطور مع الصفاء
العزيز على الرغم من أنها تتبع من ذروة اللهب. ولكن حتى في هذا
الحزن ثمة رزانة أو ذاك الايقاع الغاضب.

إسبانيا لديها أغان فرحة، فكاهية، طريفة، أغان شبقية ناعمة وقصائد غزلية ساحرة. كيف أبقت، كي تنادي حلم الطفل، على الأكثر دموية، والأقل ملائمة لنعومة حساسيته؟
يجب ألا ننسى أن الهدهدات قد تم اختراعها (وتعبر عنها نصوصها) من قبل النساء الفقيرات اللواتي يشكّل أطفالهن عبئا، صليبا ثقيللا لا يستطيعون حمله في كثير من الأحيان.
كل طفل، بدلا من أن يكون سعادة، هو همّ، وبطبيعة الحال، لا يمكنهم التوقف عن الغناء له، حتى في خضم حبههم، وتذمرهم في الحياة.

توجد أمثلة دقيقة لهذا الموقف، من هذا الاستياء ضد الطفل، الذي جاء عندما كانت الأم تريد ذلك، كان من الواجب ألا يأتي بأي شكل من الأشكال. في أستورياس Asturias ، يغنون هذا في قرية نافيا Navia (وهي من اللغة الاستورية):

هذا الوليد الصغير في اللفة

من حب اسمه فيكتوريو

أعطاني ياه الله، طالت عليّ

كي لا أعاشر فيكتوريو ومعني اللفة

واللحن الذي تُغني به هو نعمة حزينة

تتناغم مع كلماتها البائسة.

النساء الفقيرات اللواتي يعطين الأطفال هذا الخبز الكتيب هن اللواتي يأخذوهن إلى المنازل الغنية. الطفل الغني لديه ههددة

المرأة المسكينة، التي تعطيه نخاع البلد، مع حليبها البري المعدي بالقلاع الفموي.

هذه المرضعات. مع الجاريات وغيرها من الخادמות الأكثر تواضعا، يقمن ومنذ وقت طويل بتنفيذ العمل الأكثر أهمية وهو جلب القصيدة الشعبية، الأغنية والحكاية الى بيوت الأرسقراطيين والبرجوازيين.

الأطفال الأثرياء يعرفون غراميات دون بيرناردو Gerineldo de Don Bernaldo¹³⁹ وتمار Tamar 140، وعشاق تيروال¹⁴¹ Teruel، بفضل تلك الخادמות والممرضات المثريات للإعجاب واللاقي ينزلن من الجبال أو يأتين على طول أنهارنا ليعطينا الدرس الأول في تاريخ إسبانيا، وينقشن على أجسادنا الختم القاسي للعملة الايبيرية: "أنت وحيدا وستعيش وحيداً".

لإحداث استفزاز نعاس الطفل تتداخل عدة عوامل مهمة إذا عددناها، طبعاً، برضا جنيات الحكايات. الجنيات هن اللاتي تجلبن

¹³⁹ حكاية شعبية قشتالية تقوم على حب مفترض بين إيماء، ابنة اشارلمان ملك فرنسا ومؤرخ للملك، تحولت إلى بطولة جيرينيلدو.

¹⁴⁰ تمار: في التوراة سفر الملوك، هي ابنة داود ومعكة وثقيفة أيسالون، نصف شقيقة نصف لـ "أمون" من جانب الأب. الذي يقع في حبها ويحاول إغرائها، ولم يحقق ذلك فاعتصبها. أيسالوم، أخوها، سينتقم لها بقتله.

¹⁴¹ تيروال إحدى مدن منطقة أراغون وسط شرقي إسبانيا وعاصمة مقاطعة تحمل نفس الاسم وهي عاصمة المقاطعة الأقل سكاناً في إسبانيا. تعتبر المدينة نقطة التقاء نهري الوادي الكبير والقمبرة.

شقائق النعمان ودرجات الحرارة. وعلى الأم والأغنية أن يكملن الباقي.

جميعنا، الذين يشعرون بأن الطفل هو أول فرجة للطبيعة، الذين يعتقدون أنه لا يوجد زهرة، لا يوجد عدد أو صمت مقارن به، جميعنا لاحظنا في كثير من الأحيان كيف، عندما ينام وحيث لا شيء ولا أحد يلفت انتباهه، كيف أدار وجهه للثدي المنشى للمرضعة (ذاك الجبل البركاني الصغير المقشعر بالحليب والأوردة الزرقاء) وحدق بعينين ثابتتين في الغرفة الساكنة كي ينام.

"إنه موجود بالفعل!"، أقول دائما، وبالفعل.

في عام 1917 كنت محظوظا لرؤية جنية خرافية في غرفة صبي صغير، ابن عمي. دامت لجزء من مائة من الثانية، لكنني رأيت ذلك. وهذا يعني، لقد رأيتها... كما ترى أشياء نقية، وتقع على هامش الدورة الدموية، بطرفة العين، كما رأى الشاعر الكبير خوان رامون خيمينيث¹⁴² 142 حوريات البحر، عند عودته من أمريكا: رآها وهي تنهي غرفها.

هذه الجنية كانت تطفو على الستارة، متألثة كما لو كانت ترتدي حلة من عيون الحجل، لكن يستحيل عليّ تذكر حجمها أو لفتاتها.

¹⁴² - شاعر إسباني، حائز على جائزة نوبل للأدب في عام 1956،

Juan Ramón Jiménez Mantecón (1881-1958)

لا شيء أسهل بالنسبة لي من اختلاقتها، لكنه سيكون خداعاً شعرياً من الدرجة الأولى، ولن يكون ذلك خلقاً شعرياً أبداً، وأنا لا أريد خداع أحد. أنا لا أتكلم بفكاهة أو بسخرية. أتحدث بكل اليقين المتأصل الذي لا يملكه سوى الشاعر والطفل والساذج النقي. عند الحديث المصادف عن الجنيات أكون قد أكملت واجبي بصفتي داعية للحس الشعري، وهو اليوم مفقود تقريبا بسبب الأدباء والمثقفين، الذين أشهروا ضده الأسلحة البشرية وجبروت السخرية والتحليل.

بعد البيئة التي يخلقونها، هناك حاجة إلى إيقاعين: الإيقاع الفيزيائي (الحركة) للسريير أو الكرسي والإيقاع الفكري للحن الغناء. تربط الأم إيقاعي الجسم والأذن بتقطيعات وسكنات مختلفة، وتوائم بينهما حتى تحقق النغمة الصحيحة التي يجربها الطفل.

لم تكن هناك أية حاجة لوجود نص للأغنية. النعاس يحضر مع الإيقاع وحده ومع اهتزاز الصوت على ذلك الإيقاع. وستكون النانا المثالية هي تكرار إشارتين موسيقيتين مع بعضهما البعض، وإطالة مدتهما وآثارهما. لكن الأم لا تريد أن تكون فاتنة ثعابين، مع أنها تستخدم في العمق نفس التقنية.

إنها في حاجة إلى الكلمة لإبقاء الطفل مشدودا إلى شفاهها، وليس فقط التعبير عن الأشياء الممتعة كي يأتي النعاس، ولكنه يأتيه بالكامل في الواقع الخام وتتسلل إليه دراما العالم.

وهكذا، فإن كلمات الأغاني تتعارض مع النعاس ونحره
الوديع. فالنص يثير المشاعر في الطفل وحالات من الشك، والرعب،
ما يجبره على محاربة اليد التي تهز للحن الذي يمَشِّط ويروِّض المهرات
الهائجة التي تتحرك في أعين المخلوق الصغير.

لا ننسى أن الغرض الأساس من النانا هو أن ينام الطفل
الذي لا يشعر بالنعاس. فهي أغان في اليوم والوقت الذي يرغب
الطفل اللعب فيه. في تمامس 143 Tamames يغنون:

نم يا بني،

عندي ما أفعله

اغسل ملابسك

وأجلس لأخيط.

وأحيانا تقوم الأم بمعركة حقيقية تنتهي بالجلد والبكاء والنوم
في النهاية. لاحظو كيف أن الطفل حديث الولادة لا يغنون له أبداً.
الطفل حديث الولادة يتسلى بالخطوط العريضة للحن الذي يصدر
من بين الأسنان، وبدلاً من ذلك، يتم إعطاء أهمية أكبر للإيقاع
الجسدي، وللكرسي الهزاز. تتطلب النانا المتفرج الذي يتبع الحوادث
بذكاء ويشتهه بالحكاية، من طراز المشهد أو الميل نحوه الذي تعبر عنه
الأغنية. فالطفل الذي يغنى له صار يتكلم، يبدأ في المشي، يعرف
معنى الكلمات وغالبًا ما يعينها أيضاً.

143 Tamames بلدة إسبانية تابعة لمقاطعة سالامانكا.

هناك علاقة حساسة للغاية بين الطفل والأم في لحظة صمت الغناء. يبقى الطفل في حالة تأهب للاحتجاج على النص أو لإحياء إيقاع رتيب للغاية. تتبنى الأم موقفا كالزاوية على الماء عندما تشعر بأنه يتم التنصت عليها من قبل الناقد الحاد لصوتها.

نحن نعلم بالفعل أن جميع أطفال أوروبا تتم إخافتهم بـ "الكوكو 144" بطرق مختلفة، و"البوتي" 145 و"المارمانيتا 146 الأندلسية، كل هذا يشكل جزءاً من هذا العالم الطفولي النادر، المليء بالأرقام دون رسم، والتي ترتفع مثل الفيلة بين حكاية مضحكة من الأشباح المنزلية التي لا تزال ترح في بعض أركان إسبانيا.

¹⁴⁴ كوكا: من اللغة البرتغالية، هي أنثى المارد البرازيلي من التراث الشعبي. وهي التصاح القبيح القديم الذي يأكل الأطفال. وثمة شعبية كبيرة في البرازيل عن الهددة وهي:

نم يا صغيري

لأن كوكا يريد أن ياخذك

هناك ثلاث شخصيات رئيسية تستخدم للتخويف في إسبانيا هي: كوكو، وتمثل الخوف من المجهول؛ رجل الكيس، الخوف من الانفصال عن المحبوب الخوف من الموت، خاصة العنيف. البوت، وهو مرادف للسفاح "ساكامانتكاس الذي عاش في الفترة بين 1870 و1879 سنتين قام باغتيال واغتصاب ست نساء، أربع منهن مومسات، تتراوح أعمارهن بين 13 و55، عندما كان رجل يقوم بزيارة امرأة، لم تكن زوجته، إلى منزلها، وحتى لا يتعرف عليه أحد، كان يلقي بطانية على كتفيه". أما الآن فـ marimantas تعني الأرواح التي تأتي من "عالم آخر" لاستعادة تقاليد الأساطير التي تم إخبارها من جيل إلى جيل.

القوة السحرية لـ "الكوكو" هي على وجه التحديد ضبايته، التي لا يمكن أن تظهر أبداً، على الرغم من أنها تجوب الغرف، والشيء اللذيذ هو أنها تبقى غير ضباية للجميع.

إنه تجريد شعري، وبالتالي، الخوف الذي ينتج عنه هو خوف كوني، الخوف الذي لا يمكن للحواس أن تضع حدوده المنقذة، وجدرائها الموضوعية التي تدافع، في الخطر، عن مخاطر أخرى أعظم، لأنه ليس لديهم تفسير محتمل.

ولكن ليس هناك شك في أن الطفل يناضل من أجل أن يتمثل ذلك التجريد، ومن الشائع جداً أن يسمى "كوكو" كل الأشكال المبالغ بها والتي توجد أحياناً في الطبيعة.

في النهاية وبعد كل شيء، يكون الطفل حرّاً في تخيله. الخوف الذي يملكه يعتمد على مخيلته، ويقدر، بما في ذلك، أن يكون له لطيفاً.

لقد قابلت فتاة كاتالونية. في واحدة من آخر المعارض التكعيبية¹⁴⁷ لرفيقي الكبير في السكن سلفادور دالي¹⁴⁸، كلفنا

¹⁴⁷ التكعيبية: المدرسة التكعيبية هي اتجاه فني ظهر في فرنسا في بدايات القرن العشرين الذي يتخذ من الأشكال الهندسية أساساً لبناء العمل الفني إذا قامت هذه المدرسة على الاعتقاد بنظرية التبلور التعينية التي تعدّ الهندسة أصولاً للأجسام. انتشرت بين 1907 و1914، ولدت في فرنسا على يد بابلو بيكاسو، جورج براك وخوان جريس.

¹⁴⁸ سلفادور دالي: 1904 - 1989 رسام إسباني. من أهم فناني القرن العشرين، وهو أحد أعلام المدرسة السريالية.

الكثير من الجهد لإخراجها من المكان، لأنها كانت متحمسة لـ "البابو"، "كوكا"، وقد كانت لوحات كبيرة من الألوان النارية والقوة التعبيرية غير العادية.

لكن إسبانيا ليست مغرمة بـ "الكوكا". إنها تفضل أن تخيف بالكائنات الحقيقية. في الجنوب، يوجد "الثور" و"الملكة مورا" هي التهديدات. و في قشتالة، "الذئب" و"العجر"، وفي شمال بورغوس 149 يتم تعويض رائع للـ "كوكو" بـ "الشفق".

هو نفس الإجراء لغرس الصمت الذي يستخدم في النانا الأكثر شعبية في ألمانيا، والتي هي عبارة عن نعجة تأتي لتعض الطفل. التركيز والهروب إلى عالم آخر، والتوق إلى المأوى والرغبة في وجود حد أكيد تفرض ظهور هذه الكائنات الحقيقية أو الخيالية يؤديان إلى النعاس، رغم أنه يتحقق بطريقة غير حكيمة

لكن أسلوب التخويف هذا ليس شائعاً جداً في إسبانيا. هناك وسائل أخرى أكثر دقة وبعضها أكثر قسوة. مرات عديدة تبنى الأم في الأغنية مسرحاً لمشهد مجرد، غالباً ما يكون ليلياً، وفيه تضع، كما هو الحال في أبسط وأقدم سيارة، شخصاً أو شخصين يؤديان عملاً بسيطاً للغاية وغالباً ما يكون ذات تأثير حزين لأجمل ما يمكن الحصول عليه.

¹⁴⁹ بورغوس: مقاطعة برغش- بالإسبانية Burgos- هي مقاطعة إسبانية تقع في شمال البلاد، تقع ضمن حدود منطقة قشتالة وليون. عاصمتها هي مدينة برغش، تنقسم المقاطعة إلى 371 بلدية.

من هذه السينوغرافيا الصغيرة، تمر الأشكال التي يرسمها
الطفل بالضرورة، والتي تتوسع في الضباب الساخن لليقظة.
إلى هذه الفئة تنتمي النصوص الأكثر نعومة وهدوءاً، والتي
يستطيع الطفل من خلالها، نسبياً، الركض دون خوف.
الأندلس لديها أمثلة جميلة. إنما النانا الأكثر عقلانية. إذا لم
تكن بالألحان. لكن الألحان هي دراماتيكية، ودائماً لدراما غير مفهومة
للمهنة التي يمارسونها، وأنا جمعت في غرناطة ستة إصدارات من هذه
النانا.

إلى النانا، النانا،

إلى نانا ذاك

الذي أخذ الحصان إلى الماء

وتركه دون شرب.

في تامس 150 (سالامانكا 151) يوجد هذا:

أبقار خوانا

لا تريد أن تأكل.

خذوهن إلى الماء،

تريد أن تشرب

150 - تامامس: بلدية وبلدة إسبانية تابعة لمقاطعة سالامانكا، في منطقة الحكم
الذاتي في:

151 سالامانكا: شلمنقة أو سلمانكا - بالإسبانية Salamanca : هي مدينة تقع
في مقاطعة قشتالة وليون في وسط شمال إسبانيا.

في سانتاندر 152 يغنون:

من هذا الشارع وعلى امتداده

ثمة صقر ضائع

يقولون إنه ذهب ليحضر

حمامة طفله.

وفي بيدروسا ديل برينسيبي 153 (بورغوس):

نثرت إلى حصاني

أوراق الليمون الخضراء

ولا يريد أن يأكلها

النصوص الأربعة، على الرغم من اختلافها في الشخصيات
والمشاعر المختلفة، لها نفس البيئة. وهذا يعني أن الأم تستحضر
منظرًا طبيعيًا بأبسط طريقة وتجعل شخصًا يمر عبره، شخصية نادرًا ما
تسميها.

أعرف نوعين فقط معمدين في مجال النانا: بيدرو نيليرا 154

Pedro Neleira، من فيلا ديل جرادو **Villa del**

152 سانتاندر: مدينة إسبانية مطلة على بحر كانتابريا، عاصمة
منطقة كانتابريا التي تقع بين إقليم الباسك وإمارة أستورياس. وهي مدينة وميناء
ساحلي.

153 بيدروسا ديل برينسيبي: بالإسبانية Pedrosa del Príncipe : هي
إحدى بلديات مقاطعة برغش، التي تقع في منطقة قشتالة وليون، والتي تقع في
شمال غرب إسبانيا.

154 - Pedro Neleira: عازف قرية

155Grado، الذي كان يحمل مزمار القربة معلقة بعصا، والمعلم اللطيف غالينديو دي كاستيلا Galindo de Castilla 156، الذي لم يتمكن من الالتحاق بالمدرسة لأنه ضرب الأولاد دون أن يقلع المهماز.

تأخذ الأم الطفل بعيدا عنه، إلى البعد، وتجعله يعود إلى حضنها حتى، متعبا، يرتاح. إنها بداية صغيرة لمغامرة شعرية. إنها الخطوات الأولى في عالم التمثيل الفكري. في هذه النانا (الأكثر شعبية في مملكة غرناطة):

إلى النانا، النانا،

إلى نانا ذاك

الذي أخذ الحصان إلى الماء

وتركه دون شرب.

الطفل لديه لعبة غنائية من الجمال النقي قبل الاستسلام إلى النعاس. يختفي هذا الشخص وحصانه عبر طريق الفروع المظلمة نحو النهر، كي يرجع ليتمشى حيث تبدأ الأغنية مرة وثانية، دائما بطريقة صامته ومتجددة.

155- Villa del Grado: منطقة في كاتالونيا

156- Galindo de Castilla

لن يراهم الطفل أمامه أبداً. سوف يتخيل دائماً، في الغبش،
البدلة الغامقة لذلك، والردف الساطع للحصان. لكن لن يتذكر أية
شخصية من أغاني الوجه.

من الدقة الابتعاد وفتح طريق نحو الأماكن التي تكون فيها
المياه أعمق والعصفور قد تحلى بالتأكيد عن جناحيه.

في هذا النوع من الأغنيات، يتعرف الطفل على الشخصية،
وبحسب خبرته البصرية، دائماً تكون أكثر مما نفترض. يرسم شكلاً
لهيئة الشخصية. انه مجرب أن يكون متفرجاً ومبدعاً في نفس الوقت، كم
هو خالق رائع! خالق يمتلك حساً شعرياً من الدرجة الأولى.

ليس علينا أكثر من أن ندرس أعباه الأولى، قبل أن يزعجها
الذكاء، لملاحظة ما هو الجمال الكوكبي الذي يستفزه، وما هي
البساطة المثالية وما هي العلاقات الغامضة التي يكتشفونها بين
الأشياء والأشياء التي لن تتمكن مينيرفا¹⁵⁷ من فكها.

زر، وبكرة خيطان، وقلم والأصابع الخمسة ليده، بكل هذا،
يبني الطفل عالماً صعباً، يمر به بتناغم لم يعرفه المغنون من قبل،
ويصطدمون فيما بينهم بطريقة مزعجة، وهو يمضي بفرح لا يمكن
تحليله.

¹⁵⁷ -مينيرفا: Minerva هي إلهة العقل والحكمة ورية جميع المهارات والفنون
والحرف اليدوية عند قدماء الرومان. اندمجت منذ وقت مبكر بالإلهة
الإغريقية أثينا.

الطفل يفهم أكثر بكثير مما نعتقد. إنه في عالم شاعري يتعذر الوصول إليه، لا سمرة التخيل ولا الفانتازيا لهما مداخل؛ لمنطقة سهول المراكز العصبية، في الهواء، للرعب وللجمال الحاد، حيث الحصان الأبيض، نصفه من النيكل، ونصفه من الدخان، يسقط جريحا فجأة مع سرب من النحل مسمر بطريقة شرسة على عينيه.

بعيدا جدا عنا، فإن الطفل يمتلك الإيمان الخلاق كاملا وليس لديه بعد بذرة المنطق المدمر. إنه بريء، وبالتالي، حكيم.

يفهم، أفضل منا، شيفرة المادة الشعرية التي لا توصف. وفي أحيان أخرى تخرج الأم أيضًا إلى مغامرة مع طفلها في الأغنية.

في منطقة Guadix 158 يغنون:

إلى النانا يا بني

إلى النانا القصيرة

وسوف نبني

خصا في الريف

وفيه سندخل."

ويمضي الاثنان. الخطر يقترب. يجب تقليصه، خفضه، حيث

حيطان الحص تلامس الجسد.

¹⁵⁸ - Guadix: بلدية وادي آش - بالإسبانية Guadix: بلدة تقع على نهر "فردس" على نحو 53 كيلو مترًا شمال شرقي مدينة غرناطة. هي بلدية تقع في مقاطعة غرناطة التابعة لمنطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا.

في الخارج يطاردوننا. وعلينا أن نعيش في مكان صغير جداً. إذا استطعنا، فسوف نعيش داخل برتقالة. أنا وأنت. والأفضل، داخل حبة عنب! هنا يأتي النعاس، يجتذبه الإجراء المخالف لذلك البعاد. يجب تنويم الطفل، مع أنه يوجد طريق أمامه، يشبه قليلاً خط الطباشير الأبيض الذي يخطه منوم الديكة. هذه الطريقة في الإنزواء إلى داخله في حد ذاتها أحلى. فيها فرحة المتأكد على فرع الشجرة أثناء الفيضان المضطرب.

هناك بعض الأمثلة في إسبانيا، سالامانكا ومورسيا، حيث تتكلم الأم كطفل، بالعكس:
أنا نعسان، أنا نعسان،
أريد أن أنام
عين واحدة أغلقتها،
عين أخرى نصف مفتوحة.
اغتنبت مكانة الطفل بطريقة استبدادية، وبالطبع، لأن الطفل يفتقد للدفاع، يجب أن يغفو بالضرورة.

لكن المجموعة الأكثر اكتمالاً من النانا، والأكثر تكراراً في البلد بأكمله، تتألف من تلك الأغاني التي يُجبر الطفل فيها على أن يكون الممثل الوحيد لـ"النانا" الخاصة به. يتم دفعه داخل الأغنية، تمويهه ووضعها في مهنٍ أو لحظات غير سارة دائماً.

هنا الأمثلة لأكثر الاغنيات، ولأكثر غننا في الدسم الإسباني، بالإضافة إلى أكثر الألحان الأصلية والأكثر مدعاة للأصالة.

الطفل يتعرض لسوء المعاملة، ويوتخ بالطريقة الأكثر تحببا:

"اخرج من هنا، أنت لست طفلي.

أملك عجزية".

أو

"أملك ليست كذلك.

ليس لديك سرير

أنت فقير، مثل سيدنا المسيح "

ودائما في هذه النعمة. لم يعد الأمر يتعلق بالتهديد، أو

التخويف، أو بناء مشهد، لكن الطفل يُلقى فيه، بمفرده وبدون

سلاح، فارساً أعزل ضد واقع الأم.

سلوك الطفل في هذه الفئة من النانا هو الاحتجاج دائما،

بحدة أكثر أو أقل، وفقا لحساسيته.

لقد شاهدت حالات لا حصر لها في عائلتي الطويلة حيث

منع فيها الطفل بشكل قاطع من الأغنية. لقد بكى، و"خبط" بيديه

ورجليه على السرير، حتى غيرت المرصعة، باشمزاز كبير، اسطوانة

الأغنية واستبدالها بأغنية أخرى يقارن فيها نعاس الطفل بحدود

الوردة.

في توريبا (Trubia)¹⁵⁹، يغنون للأطفال هذه الإضافة،

وهو درس في خيبة الأمل.

¹⁵⁹توريبا (Trubia)

ربتني أمي
سعيدا ومبتهجا،
عندما تنومني
كانت تقول:
"إيا، إيا، إيا،
يجب أن تكون ماركيز
"كونت أو فارس"
ولسوء حظي
تعلمت مهنة السلال
أصنعها في شهر يناير
وفي الصيف
أقبض المال.
هنا هي حياة
بائع السلال الفقير
"إيا، إيا، إيا"،
إلخ. إلخ..

استمعوا الآن إلى هذه النانا التي تُغنى في كاسيريس
160 Cáceres، وهي نقاوة لحنية نادرة، والتي يبدو أنها مصنوعة

¹⁶⁰ - كاسيريس، قصرش أو كاثيس، هي عاصمة مقاطعة قصرش بمنطقة إكستريمادورا ذاتية الحكم في غرب إسبانيا وتعد المدينة المسورة موقعًا من مواقع التراث العالمي.

للغناء للأطفال، الذين ليس لديهم أم، وحيث قسوتها الغنائية ناضجة
لدرجة أنها تبدو أشبه بأغنية للموت أكثر من أغنية لأول النوم:

"نم، يا طفلي، نم،

أملك ليست في المنزل،

أخذتها العذراء

كرفيقة في بيتها."

من هذا النوع يوجد الكثير في شمال وغرب إسبانيا، حيث
تتخذ النانا لهجات أكثر صعوبة وبؤسا. في ورنيسي 161، تغنى نانا
أخرى الى فتاة بكر حيث ثديها أعميان لايزالان ينتظران الإشاعة
الموعودة لقطف تفاحتها:

"صلّ" الآن يا طفلُ "صلّ".

من سيعطيك الحلمة؟

إن كان والدك قد ذهب إلى الجبل،

وأملك إلى الحطب الجاف؟

نساء بورغوس Burgos يغنين:

اشرب الروم يا فتى

والدك يعمل بالفحم

وأملك بالزبدة

¹⁶¹ ورنيسي: هي مدينة تقع في شمال غرب إسبانيا، هي عاصمة مقاطعة
أورنيسي التابعة لمنطقة غاليسيا.

لا يمكن أن تعطيك الحلمة.

هاتان النانا فيهما الكثير من التشابه. أقدميتهما الجليلة واضحة بما فيه الكفاية. كلا اللحنين تمت كتابتهما كرباعيات موسيقية، حيث في داخلها يندمج بناؤها، ولبساطتهما ولتصميمها النقي فهي أغانٍ ليس لها مثيل في أي كتاب للأغاني.

أما النانا التي ينوم بها عجر إشبيلية أطفالهم فهي مخزنة بشكل خاص. لكنني لا أعتقد أنها من أصول هذه المدينة. إنها النوع الوحيد الذي أقدمه متأثراً بأغنية جبال الشمال، ولا تقدم استقلالية لحنية ناقصة السيادة، التي لكل منطقة عندما تتمكن من تعريف نفسها. نحن نرى باستمرار في كل غناء العجر هذا التأثير الشمالي من خلال غرناطة.

لقد جمعها في إشبيلية صديق لي وهو مدقق موسيقي عظيم.

ولكنها تبدو أنها ابنة مباشرة لسلسلة جبال 162.Penibetic

أما التصميم فله تشابه غير عادي مع هذه الأغنية الشهيرة

في سانتاندر Santander الشهيرة:

"على هذا الرصيف

لا يمر أحد،

لقد ماتت الصبية الزغولة،

162 - سلسلة جبلية تمتد من مضيق جبل طارق إلى "كابو دي لا ناو" في مقاطعة أليكانتي الإسبانية.

زهرة الوادي،

زهرة الوادي، "

الخ، وما إلى ذلك.

هذه النانا من هذا النوع الحزين التي تترك الطفل وحيدا،

حتى لو أعطوه أعظم الحنان. تقول:

"ضرب الماء هذا

ليس لديه أم،

ولدته عجيبة.

رمته في الشارع."

ليس هناك شك في لهجتها الشمالية، والأفضل أن أقول

الغرناطية، وهي أغنية أعرفها لأنني قد جمعتها، تماما كما يعلق في

المناظر الطبيعية، الثلج مع فوارة الماء والسرخس مع البرتقالي. ولكن

للتأكيد على كل هذه الأشياء، عليك أن تمشي بتذوق تام.

قبل سنوات، جاء مانويل دي فاللا Manuel de Falla

163، يجادل بأن أغنية الأرجوحة التي تغنى في القرى الأولى من

سييرا نيفادا 164 هي بلا شك من أصل أستوري. (نسبة إلى استوريا

(Asturia)

163 - مانويل دي فايلا، موسيقار أسباني أندلسي. 1876 - 1946 أكثر

الموسيقين الأسبان شهرة في بدايات القرن العشرين. تمتزج في موسيقاه الشاعرية

مع التصوف والحماسة ممثلة الروح الأسبانية بأنقى حالاتها.

164 - سييرا نيفادا: أهم سلسلة جبلية بجنوب إسبانيا.

التدوينات الموسيقية المتنوعة التي أتينا بها أكدت قناعته. ولكن في يوم من الأيام سمعها تغنى، وعندما دوغنا ودرسها، لاحظ أنها أغنية من الإيقاع القديم الذي يدعى 165epitrito، وأنه لا علاقة له بالأنغام أو بالمقياس النموذجي لأستورياس. التدوين الموسيقي. وعند خلحلة الإيقاع، جعلها أستورية. ليس هناك شك في أن غرناطة لديها مكتسبات كبيرة من الأغاني من النعمة الجاليسية 166 والنغمات الأسترية، بسبب الاستعمار الذي بدأه الناس من هاتين المنطقتين في البوجارا Alpujarra؛ ولكن هناك بعض التأثيرات اللاتينية التي يصعب فهمها بواسطة هذا القناع الرهيب الذي يغطي كل شيء ويطلق عليه الطابع الإقليمي، والذي يشوش ويغيم على مداخل الشيفرات، فقط يمكن فك تشفيرها من قبل فنيين عميقين مثل Manuel de Falla، الذي عنده أيضًا حدس في من الدرجة الأولى.

في كل الفلكلور الموسيقي الإسباني، مع بعض الاستثناءات المجيدة، هناك فوضى غير مضبوطة في تدوين الألحان. يمكن اعتبارها غير مستنسخة موسيقيا لتلك الأغاني العديدة التي يتم تداولها. لا يوجد شيء أكثر حساسية من الإيقاع، أساس كل اللحن، أو أي

¹⁶⁵ - مزيج من مقاطع قصيرة وثلاثة مقاطع طويلة.

¹⁶⁶ - الجاليسية: (galego) هي لغة غرب أيبيرية، تستخدم في منطقة غاليسيا-إسبانيا- وتستخدم أيضًا في أنحاء أخرى من إسبانيا والبرتغال. وتعتبر لغة رسمية في إسبانيا.

شيء أكثر صعوبة من صوت الشعب الذي يعطي هذه الألحان ثلث
نغمة وربع نغمة. التي ليس لها علامات في الصولفيج الموسيقي.
لقد حان الوقت الآن لتعويض الأغنيات المحلية المشوشة
بمجموعات من اسطوانات الحاكي، لما فيها من فائدة قصوى للباحث
والموسيقي.

من هذه البيئة نفسها التي لنا "ضرب الماء"
(galapaguito)، على الرغم من أنها أكثر هزلا وأكثر تواضعا
ويأسا، يوجد نوع في مورون (Morón de la Frontera) ونوع آخر
في أوسانا (USANA)، التي جمعها Pedrell المتميز.
في بيخار (Béjar)، تغنى النانا الأكثر اشتعالا، والأكثر تمثيلا
لقتتالة. أغنية تبتسم وكأنها عملة ذهبية إذا ألقيناها على حجارة
الأرض:

نم، يا ولدي الصغير،

نم، أنا أحرسك.

سيعطيك الله الكثير من الحظ

في هذا العالم المخادع.

سمراء (عربية) من السمراوات (العربيات)

عذراء كاستار Castañar

في ساعة الموت

سوف ترحمنا.

في أستورياس Asturias يتم غناء هذا العطر الآخر، حيث
تشتكي الأم من زوجها حتى يتمكن من سماعها كطفل. ويأتي الزوج
يطرق الباب، محاطا بالرجال المخمورين، في ليلة مغلقة وممطرة من
ليالي البلاد. المرأة تمز مهد الطفل بقدميها المخروحتين، جرح يصبغ
بالدماء الجبال الأكثر وحشية، جبال مرساة القوارب.

كل الأشغال

للنساء الفقيرات،

ينتظرن في الليالي

أن يأتي الأزواج.

بعضهم يأتي سكرانا،

آخرون يأتون فرحين.

آخرون يقولون: «يا شباب،

هيا نقتل النساء».

يطلبون العشاء،

هن ليس لديهن ما يعطونه

"ماذا تفعلين بهذا الواقع؟"

يا امرأة، ما هذا التحكم الذي عندهم؟»

إلخ، وما إلى ذلك.

من الصعب العثور في كل اسبانيا على أغنية أكثر حزنا
وأكثر فجاجة في الشبق. ومع ذلك، فلدينا رؤية نوع غير عادي من
النانا. هناك أمثلة في أستورياس، سالامانكا، بورغس وليون. إنها

ليست نانا لمنطقة معينة، لكنها تمتد عبر الشمال ووسط شبه الجزيرة.
إنها نانا المرأة الزانية التي تغني لطفلها فتفاهم مع الحبيب.
فيها إحساس مزدوج بالغموض والمفارقة ما يفاجئ دائماً
عند سماعها. الأم تخيف الطفل برجل على الباب ولا يجب عليه
الدخول. الأب في المنزل ولن يتركها.

اغنية أستورياس تقول:

من في الباب

لا يدخل الان،

الأب في المنزل

والطفل يبكي

الآن لا يا طفلي إيا

أيا وليدي الوالد موجود

من في الباب

ليأت غدا

والد الطفل

سيكون في الجبل.

أيا، وليدي، الآن لا

أيا وليدي الأب موجود.

أغنية الزانية التي تغنى في ألبا دي تورميس هي أكثر غنائيةً

من الأغنية الأستورية والشعور المتلثم...

حمامتي الصغيرة البيضاء

تتجول مشتاقة في الوقت الغلط

الأب في البيت

أب الولد الذي يبكي

حمامتي الصغيرة السوداء

من الطيران الأبيض

الأب في البيت

والد الطفل الباكي

نسخة بورغيس، في "صالة دي لوس انفانتس 167 Salas

، " de los Infantes

ما أجملك

يا للسوء أن تفهم

الأب في البيت

الطفل لا ينام

إلى ال موا موا موا

يا روحي

فلتذهب...

إنها امرأة رائعة التي تغني هذه الأغاني. الآلهة فلورا 168

Diosa Flora، ذات الثدي الأرق، يصلح لرأس الأفعى. مولعة

¹⁶⁷ - Salas de los Infantes: مدينة وبلدية تقع في مقاطعة بورغيس Burgos

وهي منطقة ذاتية الحكم في قشتالة وليون.. Castilla y León

بالفواكه ونظيفة من الميلونخوليا¹⁶⁹. هذه هي النانا الوحيدة التي ليس للطفل فيها أية أهمية من أي نوع.

إنها ليست أكثر من ذريعة. لا أعني، مع ذلك، أن كل النساء اللواتي يغتنيها زانيات؛ لكنهن، دون إدراك، يدخلن مجال الزنا. بعد كل شيء، هذا الرجل الغامض الذي في الباب ويجب ألا يدخل هو الرجل الذي يخفى وجهه بالقبعة الكبيرة، التي تحلم به كل امرأة حقيقية ومنفصلة.

لقد تجنبت أن أقدم لكم أنواعًا مختلفة من الأغاني، باستثناء إشبيلية، التي تستجيب لنموذج إقليمي مميز بالأحان. الأغاني التي لم تحظ بالانتشار. الأحان الثابتة التي لا يمكنها السفر أبداً.

الأغاني التي تسافر هي الأغاني التي تبقى مشاعرها في توازن هادئ ولها هواء كوني. هي الأغاني المرتابة، والقادرة على تغيير بذلة الرياضيات للإيقاع، مرنة لللهجة ومحايدة لحرارة الشعر الغنائي.

¹⁶⁸ - فلورا باللاتينية (Flora)، هي إلهة الورد وفصل الربيع في الميثولوجيا الرومانية. أصبحت كرمز للورد في الميثولوجيا الرومانية، وقد اشتقت منها كلمة فلور الإنجليزية التي تعني الورد. وقد تم تصويرها أيضًا كإلهة للخصوبة وتم ربطها بفصل الربيع وأنها هي التي تظهر الخضار وتخصب المحاصيل، كما اعتبرت أيضًا إلهة الشباب.

¹⁶⁹ - المزاج الدائم من الكسل والخمول والحزن وعدم الاهتمام، الناشئ عن أسباب مادية أو معنوية.

كل منطقة لها نواة لحنية ثابتة ومنقوصة السيادة مع جيش حقيقي من أغاني الحجاج التي تدور حيث يمكنها وتمضي لتموت منصهرة في الحد الأخير من تأثيرها.

توجد مجموعة من الأغاني الأستورية والغاليشية، ملونة بالأخضر، رطبة، تنحدر إلى قشتالة، حيث تُبنى ايقاعيا وتصل إلى الأندلس، حيث نكتسب المزاج الأندلسي وتشكل الغناء النادر للجبال الغرناطية.

السيغيريا 170 العجربة من الغناء العميق 171، أنقى تعبير للغنائية الأندلسية. لا تحقق الخروج من مدينة شيريش 172 أو قرطبة. في المقابل. رقصة البوليرو، لحن محامد، يرقصونه في قشتالة وحتى في

170 - La seguriya: غناء فلامنكو له طابع حزين ومناسباتي وإيقاع تعاقبي، مكون من أربع مقطوعات من أبيات شعرية سداسية (ما عدا المقطوعة الثالثة، فهي إحدى عشر مقطعا).

171 - cante jondo "الأغنية العميقة" باللغة الإسبانية هو أسلوب صوتي في الفلامنكو، وهو شكل عذري من الموسيقى الأندلسية الشعبية. مع كتابة عميقة بحرف الخاء بدلا من الهاء كتأكيد على أحد أشكال اللهجات العينية، لأن النطق الأندلسي التقليدي حافظ على حرف الهاء الذي يكتب ولا ينطق في اللغة الإسبانية.

172 شريش (بالإسبانية Jerez de la Frontera: ومعناها شريش الحدود)، هي بلدية بمقاطعة قادس من منطقة الأندلس. وسميت بشريش الحدود لدورها التاريخي أثناء حروب الاسترداد. وتشتهر بصناعة نبيذ الشيري بالإنكليزية (Sherry)، وبالإسبانية (Jerez) أي شريش.

أستورياس. هناك يوجد بوليوو أصلي في يانيس 173 Llanes، التقطها
تورنر 174 Torner.

الالاس (Alalá) 175 الغاليسية تضرب جدران سرقسطة
ليلاً ونهاراً دون أن تكون قادرة على اختراقها، في المقابل، العديد من
الحركات الطاحونية 176 Muñeira، تتجول من خلال ألحان بعض
الرقصات الطقوسية وأغاني عجر الجنوب. البرشلونيات، التي تصل
سليمة حتى تونس.

173 - يانيس بالاسبانية (Llanes):، هي بلدية تقع في منطقة أستورياس شمال
غرب إسبانيا.

Eduardo Martínez Torner¹⁷⁴ إدواردو مارتينيز تورنر (أوفيديو، 7 أبريل،
1888 - لندن، 17 فبراير، 1955) باحث في تاريخ الموسيقى وموسيقار ووقائد
اوركسترا في الموسيقى الإسبانية. وهو مؤلف كتاب موسيقى الأغنية الشعبية، وهو
عبارة عن مجموعة تتألف من خمسمائة موضوع تعتبر كنز في الموسيقى الأستورية.
Alalá¹⁷⁵ هو نوع موسيقي شعبي ذو طابع غنائي تم تطويره في غاليسيا
(إسبانيا). يغنونه متسلقي الجبال في شمال غرب غاليسيا ويفترض أن يكونوا من
أصل شرقي وجزء من فولكلور غاليسيا. يعتبر بمثابة بقايا لغة بدائية. يتميز هذا
الغناء من خلال امتناع عن المحاكاة. اشتقت المفردة من كلمة يونانية تعني النجم.
يتم الغناء بالطريقة التي ينطق بها الأخرس الا لا لا.

رقصة نموذجية من غاليسيا، التي ترقص على موسيقى القرية. في الأصل كان
تؤدي خلال وقت الطحن وخطواتها تشبه طاحونة. تأتي الكلمة من اللاتينية
molinum (مطحنة).

وقد أحضرها العرب إلى غرناطة، فانما قد خضعت بالفعل لتغيير كامل في الإيقاع والطابع عند وصولها إلى لامانشا *la Mancha*، ولم تتمكن من تجاوز *Guadarrama*.

في نفس النانا التي أتحدث عنها، أثرت الأندلس بسبب البحر، لكنها لا تستطيع الوصول إلى الشمال، كما في أنواع أخرى من الأغاني. المزاج الأندلسي للنانا يلوّن منخفضات ليفانتي 177، حتى بعض (فو فيو باليار 178, *you-vei-you balear*) في كاتالونيا، مروراً بقادس حتى تصل إلى جزر الكناري، حيث نانا الأورو *arroró* اللذيذة هي بلا شك إحدى لهجات بيتيكا 179 *Baetica*. يمكننا أن نصنع خارطة لحنية لإسبانيا، ونلاحظ فيها انصهاراً بين المناطق، وتغييراً في الدم والعصائر التي نراها تتواءم في انقباض القلب وانبساطه في فصول السنة.

سنرى بوضوح هيكلًا عظمياً للهواء غير القابل للكسر الذي يوحد بين مناطق شبه الجزيرة، هيكل عظمي غير مستقر عن

177 - Levante: جز، أسبانيا الأقرب إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط. *you-vei-you balear*¹⁷⁸: (أغنية مهد للأطفال، تعرف أيضاً باسم: شمس ما بعد الظهيرة) تعود إلى عام 1887، كتبها الموسيقي Honorat Noguera = والذي يُعرف بأنه والد الموسيقى المتميز أنتوني Balaguer Noguera وليس لمزياء الخاصة.

179 *Bética*: أخذت اسمها من نهر بيتيس وتسمى حالياً الوادي الكبير، كانت إحدى المقاطعات الرومانية التي كانت موجودة في شبه الجزيرة الأيبيرية، أطلق عليها الرومان اسم هيسبانيا.

المطر، بحساسية الحلزون الاكتشافية، كي تلتقط في مركز أدنى غزواً من
عالم آخر، وتعود لتتدفق خارج خطر الشيخوخة والجوهر الكامل
لإسبانيا.

فدريكو غارثيا لوركا (Federico Garcia Lorca)

ولد في 5 حزيران 1898، في قرية فوينتي باكيروس (Fuente Vaqueros)، إحدى ضواحي غرناطة، ويعتقد أن أصول ساكنيها تعود إلى العرب. وعنها يقول:

"في هذه القرية كانت لي أول أحلام اليقظة
وفي هذه القرية سأكون ترابًا ووردًا".

عاش في الريف حتى الثامنة من عمره، وانتقل مع عائلته إلى غرناطة حيث تابع دراسته، التي يقول عنها: "درست كثيرًا لكنهم أعطوني رسوبات هائلة... وفي المقابل رجحت شعبية سحرية وأنا أضع تشابيه وألقابًا للناس".

في عام 1915، سجل في الجامعة في كلية الفلسفة والآداب، التي لم ينهها أبدًا، لكنه تخرج في كلية القانون من جامعة غرناطة. في هذه السنوات نمت لديه عشق كبير للموسيقى. وظل يواظب على التردد على مقهى ألاميدا (Alameda) ضمن جماعة ثقافية من شعراء وفنانين. في عام 1917، ينشر في مجلة "آداب" الغرناطية مقالات تحت عنوان "انطباعات من الحياة"، وفي العام اللاحق ينشر كتابا بعنوان "انطباعات ومشاهد". وهو أول أعماله النثرية. في عام 1919 يذهب إلى مدريد ليكمل دراسته الجامعية، فيقيم في سكن

مدريد الجامعي، حتى عام 1928، وهو لا يزال يتابع دراسته. وفي هذه الفترة تعرف على سلفادور دالي، ورفائيل ألبرتي، وآخرين.

أصدقاؤه في السكن الجامعي يقولون عنه إنه الرفيق المثالي، كان جاهزاً دائماً ليرفع المعنويات وتنظيم أي شيء، مع أنه كان صاحباً ثرثاراً واحتفائياً.. ومع ذلك، كان نقاده ينشرون عنه أنه شخصية حزينة انعزالية، مولع وقلق بالجمال والاكتمال.

تم الحديث عن تأثير أعماله بإحباطاته الجنسية، لكن يجب ألا ننسى توجسه وحذره الشديد لكل ما كان يؤلفه، وكذلك لوعته وهو يبحث عن الكمال. عدم الرضا ومتطلباته الشخصية كان يضعهما جميعها من أجل الصراع للفوز والنجاح، وهما قد حالفاه.

حماسته للشعر اكتملت منذ طفولته مع ولعه بالمسرح. وفي عام 1920 يجرب في المسرح ويقدم مسرحية "تعاويد فراشة" وقد فشل بها. وبعد عام نشر قصائده الأولى في كتاب بعنوان "كتاب القصائد"... وفي عام 1922 ينظم حفلة "الغناء العميق" بالاشتراك مع مانويل فايلا. لكنه لم يحقق نجاحه الشعري الا بعد عام 1928 عندما نشر "رومانسية عجزية" الكتاب الذي اشتهر سريعاً في وقت وجيز. وخلال فترة قصيرة من زيارته لكاتالونيا يرسم لوحات فنية ويعرضها في غاليري دالماو في برشلونة، يزور إشبيلية ليشترك في حفل تخليد غونغرا، وهناك يتعرف على شعراء عدة وأهمهم الشاعر ثيرنودا.

في تلك الفترة انسجم كلياً مع شعراء جيله وبالأخص أليخاندرود، وثيرنودا. وحقق نجاحه الأول في المسرح مع ماريانا بينيدا.

يسافر إلى نيويورك، ومن هناك يزور كوبا وكندا، حيث نشر كتابه "شاعر في نيويورك" وكذلك نشر كتاب إرشاد سينمائي بعنوان "رحلة إلى القمر" وعمله الكوميدي "معجزات (امرأة) سكافية" التي تم تمثيلها عند رجوعه إلى مدريد في 1930.

في سنوات الجمهورية (1931 حتى 1936) يشكّل لوركا المسرح الجامعي باسم (لا بارراكا - الكوخ) بهدف تقديم الأعمال المسرحية الكلاسيكية وإيصالها إلى القرى النائية، وكان لوركا يدير هذا المسرح مع "إدواردو أورغاتي"، وقدم أعمال الكاتب لوي دي فيغا، مثل: (شيفرة الأغنام، السيدة البهاء) وكذلك (محتال إشبيليا للكاتب تيرسو و"الحياة حلم" للكاتب كالديرون).

في عام (1933-1934) يسافر إلى الأرجنتين والأوروغواي ليلقي محاضراته ومنها هذه المحاضرة التي ترجمناها هنا، وليحضر تقديم مسرحياته "معجزات اسكافية" و"عرس الدم" وكذلك مسرحية "بيرما". في هذه السنة تحديداً يكتب مرثية لمصارع الثيران أغناثيو سانثيث ميخياس

كذلك زار فرنسا وبريطانيا. ولم يكن مهتماً كثيراً بالسياسة، لكنه كان من أنصار الجمهورية، وقبل أيام قليلة من اندلاع الحرب الأهلية وصل لوركا إلى غرناطة ليقضي فصل الصيف.

شقيقته كونشا غارثيا لوركا تتذكر ذلك: "فدريكو، وكإجراء احتياطي، فلقد ذهب إلى بيت أصدقاء من عائلة روساليس، أناس راعون. لكنهم كانوا ينتمون إلى الفلانج/كتائب فرانكو. وعندما

اندلعت الحرب الأهلية سألت فدريكو: فدريكو إياك أن تتكلم في السياسة، لأن الناس يقولون إنك شيوعي. هل هذا صحيح؟ وبدأ فدريكو في الضحك، وقال: كونشا يا صغيرتي! كونشا! انسي كل ما يقوله الناس، أنا أنتمي إلى حزب الفقراء، لكن بناء على ما كان يقوله الناس فكرنا أنه من واجبنا أن نخبئ فدريكو في بيت روساليس، فلقد كان هذا المكان هو الأكثر أمنا في كل غرناطة.

لكنه ألقى عليه القبض وتم إعدامه بالرصاص من قبل قوات الكنتائب التابعة لفرانكو. في 19 آب 1936، ابتدأت حياته من عام الكارثة إلى عام الحرب الأهلية التي كان إحدى ضحاياها. وبعد الحرب احتسب لوركا رسميا كشاعر سيئ وملعون.

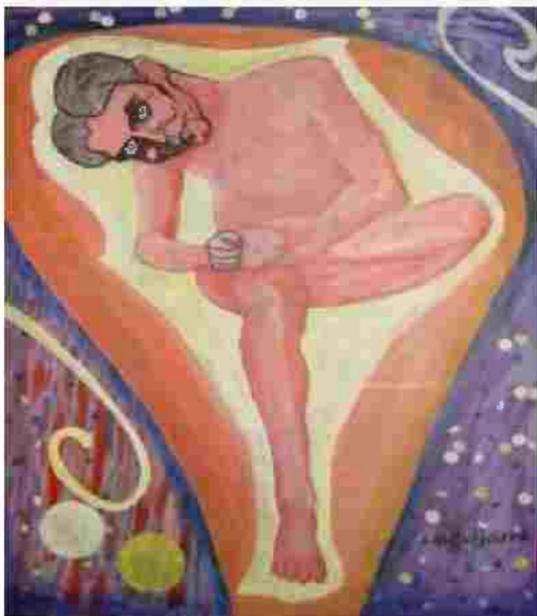
ملحق الصور



أنطونيو دي لونا، مانويل دي فاللا، فيديريكو غارسيا لوركا وخوسيه مانويل
سيجورا صيف 1926

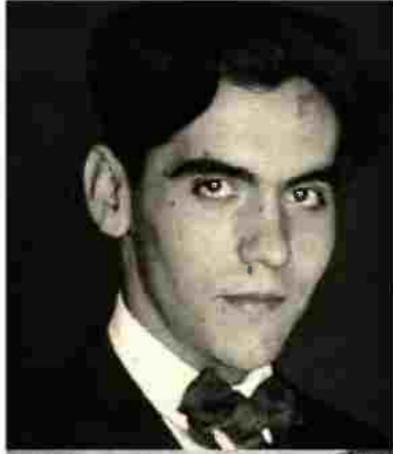


فيديريكو غارسيا لوركا



فيديريكو جارسيا لوركا بدون شوك - أنطونيو غويارو





مع سلفادور دالي



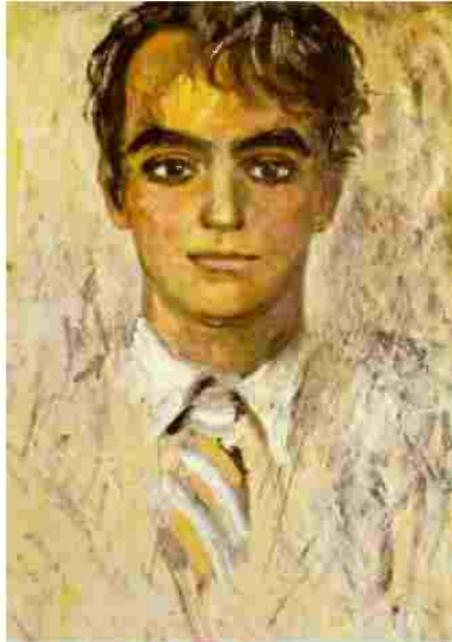
Federico García Lorca



Firma del alumno.

Federico García Lorca

توقيع الطالب فدریکو غارثیا لورکا

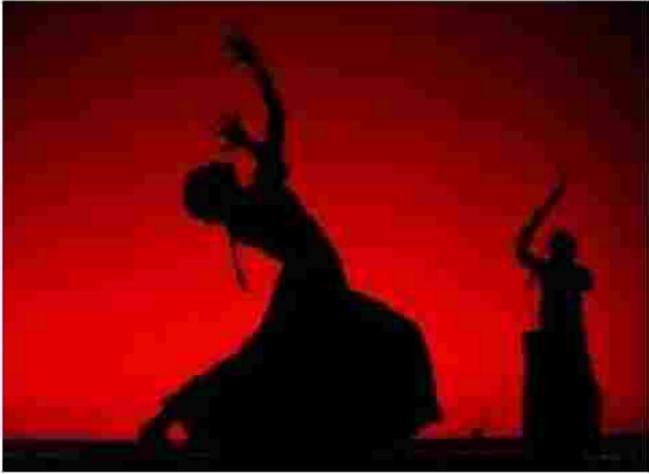


طائر الفلامنكو

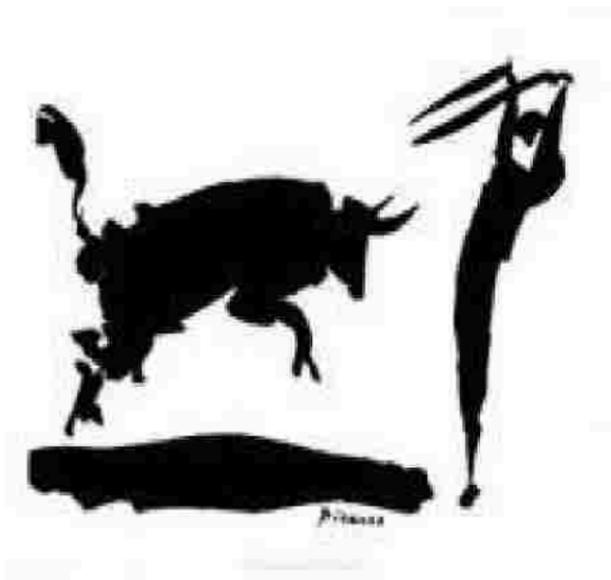


راقصة الفلامنكو





بيكاسو





بيكاسو يعزف فلانكو

الفهرست

5	مقدمة
9	نص المحاضرة
47	درشة حول المسرح
54	أغاني قبل النوم للأطفال
54	(نانا-الأطفال)
90	فديكو غارثيا لوركا
94	ملحق الصور